

الجزء الثاني

د. موسى أبو مزروق



في العموم

قراءة في الفكر الحركي والسياسي

إعداد: د. بلال خليل ياسين



## **الفصل الثاني**

### **العلاقات المتداخلة والمعايير الناظمة**



## العلاقات المتداخلة والمعايير الناظمة

أولاً: طبيعة الصراع مع الاحتلال الصهيوني:

”الحرية أثمن ما في الوجود لذلك كانت ثمنها باهظاً“

(ميخائيل نعيمة)

**السياسي:** هو الشخص الذي يُشارك في التأثير على الجمهور من خلال التأثير على صنع القرار السياسي أو الشخص الذي يُؤثر على الطريقة التي تحكم المجتمع من خلال فهم السلطة السياسية وديناميات الجماعة وهذا يشمل الأشخاص الذين يشغلون مناصب صنع القرار في الحكومة، والذين يبحثون عن هذه المواقف، سواء عن طريق: الانتخابات، الانقلاب، والتعيين، وتزوير الانتخابات، والرجل السياسي رجل مهتم بشؤون الجماعة وطريقة عملها من خلال العمل السياسي ولا يمكننا أن نفهم من هو الرجل السياسي إلا بمعرفة الأساس الذي تقوم عليه السياسة؛ لأنَّ السياسة هي طريقة التعامل في المجتمع فهي الآليات والميكانيزمات التي يستخدمها الرجل السياسي في حلّ المشاكل بالطريقة الصحيحة، وبصناعة قرارات تكون في خدمة المجتمع.<sup>1</sup>

هذا تعريف من جملة التعريفات التي وردت في رجل السياسة، الذي نحن بصدد الحديث عن مواقف أحد رجاله المرموقين، وبدون مقدمات يعتقد أبو مرزوق أن فهم طبيعة الصراع مع أيّ خصم من الخصوم يُعد من أهم المرتكزات التي تأخذ بيد الإنسان نحو حُسن إدارة المعركة، وبالتالي تحقيق نقاط القوة التي تمكنه من انتزاع الانتصار، وعليه فإن معرفة من أنت، وماذا تريد؟ والعدو ومرتكزات قوته؟ والبيئة المحيطة وآلية التعامل معها! أسئلة ثلاثية وجب إدراكها إدراكاً جيداً حتى تستطيع أن تتحرك بالاتجاه الصحيح.

<sup>1</sup> سياسي، موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، انظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A>

وعليه، يُعرف أبو مرزوق حركة حماس بأنها ”حركة تحرر وطني فلسطيني تنطلق من منطلقات إسلامية لتحرير فلسطين، وبناء عليه فإن أيّ مسألة خاصة بموقف حماس بعد التحرير غير واردة في أجندة حماس، وغير مستعدة لنقاشها، لأن الهدف الرئيس لدى حماس هو التحرير وما دونه مضيعة للوقت في ظل وجود احتلال“<sup>2</sup>.

ويؤمن أبو مرزوق بأن الشعب الفلسطيني بكافة فصائله المقاومة، واتجاهاته الفكرية المختلفة هم فواعل وطنية تُشارك حركة حماس في النضال الفلسطيني ضدّ الاحتلال الصهيوني، مما يُوجب على حركة حماس التنسيق الدائم والمستمر مع الجميع؛ لبلورة الاستراتيجية الوطنية الجامعة لكل الفلسطيني.

وقد أوردت مجلة فلسطين المسلمة عدداً من المقابلات الصحفية التي تطرقت لفكر أبو مرزوق ورؤيته في مرحلة أوسلو، وبُعيد مجيء السلطة الفلسطينية إلى الأراضي المحتلة، وكان من بين اللقاءات المهمة، الحوار الذي أجراه د. أحمد يوسف مع أبو مرزوق في أيار/ مايو 1996، أوردت إجابة ثمانية أسئلة وهي كما يلي:

س: ارتبطت الحركة الإسلامية في فلسطين منذ نشأتها بحركة الإخوان المسلمين في كل من مصر والأردن، وانعكست مظاهر هذا الارتباط باعتماد المواقف والأساليب نفسها التي كانت تتبناها الحركة في تلك البلدان، ولعل ظهور حركة حماس ودخولها متفردة على خط المواجهة مع ”إسرائيل“ يعد استثناءً في اجتهادات الحركة في فلسطين، والآن مع مجيء السلطة الفلسطينية للحكم في مناطق الإدارة الذاتية، فهل معنى ذلك عودة الحركة في تلك المناطق لاعتماد المسار الديمقراطي في برنامجها للإصلاح والتغيير، أسوة بما عليه الحال في كل من مصر والأردن ولبنان مثلاً؟

ج: لقد نشأت حماس في ظلّ الاحتلال، فكان لا بدّ من مواجهة ذلك الاحتلال، ومقاومته، ولا أتصور أن هناك حركة تحرر وطني تنشأ تحت الاحتلال،

<sup>2</sup> مقابلة أجراها طوني خليفة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الجزء الأول، قناة القاهرة والناس، ”أجراً كلام“، 2013/5/15، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=CgY5wkXgn80>

وبغض النظر عن أيديولوجيتها، تستطيع تحييد خيار المقاومة من مناهجها أو تفكيرها، ولم أسمع أن شعباً تحرراً أو أمة نالت استقلالها من خلال خطاب سياسي أو قصائد شعرية، وفي الوقت نفسه فإن حركة تفهم الإسلام لا تستبدل القوة مكان الفكرة والتغيير.

فالإصلاح المثمر والتغيير ثمرة ونتاج لقناعات الشعب، فمنهج الإصلاح الإسلامي نهج متكامل، يغطي جوانب الحياة الإنسانية في شتى صورها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والتعليمية، على أن طرح البرامج السياسية وغيرها لا بدّ أن يقدم للشعب ممثلاً بشرائحه وقطاعاته المختلفة، والذي لا بدّ له من مراقبة تلك البرامج والإطلاع عليها ونقدها وتصحيحها دون عصمة لتلك البرامج أو قدسية، حيث إنها اجتهادات بشرية في فهم نصوص الوحي، قرآناً وسنة، حيث تختلف الأفهام والعقول. ولكن عندما يتعلق الأمر بالكليات والمحكمات فلا اجتهاد، ولا بدّ من التنويه هنا أن الحركة الإسلامية في بقية مناطق العالم الإسلامي هي من دول مستقلة، نالت استقلالها وحيث إننا في فلسطين مازلنا نعيش تحت الاحتلال الجاثم فوق صدرنا، فشعبنا يعيش في الخيام ينتظر معونات الأمم المتحدة منذ خمسين عاماً.

س: في السابق لم تطرح حماس نفسها بديلاً لمنظمة التحرير، بل عملت على الحفاظ على علاقات أخوية معقولة، بل وتقدمت أحياناً بمشاريع للتنسيق والعمل المشترك، خلال سنوات الانتفاضة، وكذلك إبان أزمة المبعدين، والآن وبعد اتفاقيات أوسلو وطابا، وتخلق وجود سياسي واتفاقيات دولية بين السلطة الوطنية و"إسرائيل"، ما هي التصورات في نظر الحركة، لإمكانيات التعاون والتنسيق في سبيل تعزيز استقلالية الموقع الفلسطيني وتطوير مكانته السياسية والدولية؟

ج: أعتقد أن الحركة لم تدع أنها تمثل الشعب الفلسطيني لا سابقاً ولا حالياً، وفي الوقت نفسه كانت وما زالت تريد إقامة علاقات أخوية بناءة مع مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني وفصائله وبغض النظر عن الخلفية والأيديولوجية، فهناك

أرضية مشتركة نتعاون في إطارها، وحماس لم تر أن الاتفاقيات ستؤدي إلى انسحاب، بل إن الاسرائيليين يقولون إن الانتشار لا يعني انسحاباً، وقد دلّ على ذلك إغلاق المناطق، والطبيعي في حالة الجيوش أن تكون خارج المدن وليس داخلها.

أما مفهوم "الحكم الذاتي" فإنّ الإسرائيليين يعترفون بأنه لا يعني الاستقلال، ومن حقّ الفلسطينيين أن يحلموا كيفما شاءوا، ولكن ليس من حقهم إقامة دولة مستقلة فأين الاستقلال؟ فإذا أضفنا إلى ذلك مسائل أخرى كالقدس واللاجئين والمستعمرات، فإن رفضنا للاتفاقيات ينطلق من نهجها المخالف لطبيعة تعامل المحتل مع المحتلين، وحماس ليست الوحيدة في ذلك، حيث إن القطاع الأكبر من الشعب الفلسطيني وقواه بما في ذلك قسم لا يُستهان به في فتح على هذا الموقف. واعتقادي هو أن الطرف الفلسطيني قد استدرج إلى هذه الاتفاقيات ظناً منه أنه يبقى في دائرة التأثير السياسي، وقد أخطأ حينما وافق على التفاوض على المراحل، لأن "إسرائيل" أرادت بذلك فرض ما تريده، وابتزاز المفاوضات الفلسطيني. والمعروف أن موازين القوى تحدد في النهاية مسار المفاوضات، والسجناء في فلسطين خير دليل على ذلك، وأخشى ما أخشاه أن يهمل ذلك الفلسطيني، ويترك لـ "إسرائيل" تقرير ما تشاء في مستقبل الشعب الفلسطيني وهو (الجانب الفلسطيني) ضعيف التأثير إقليمياً ودولياً، وحينئذٍ يضيع الحلم الفلسطيني. أما بالنسبة للحركة فبالرغم من الاعتراضات على هذه الاتفاقيات، إلا أننا مع التعاون والتنسيق لبناء مستقبل الشعب الفلسطيني وتحقيق استقلاله وبناء دولته المستقلة، لكن دون أن نعلم أننا من الممكن أن نصل إلى استقلال الموقع الفلسطيني، وسياستنا ستبقى مواجهة العدو الصهيوني، وإفشال مخططاته، ونحن على ثقة أن هذه الاتفاقيات ستفشل.

س: هناك من يزعم أن المرحلة القادمة هي مرحلة عمل سياسي وإعلامي لتثبيت الوجود الفلسطيني والدفع في اتجاه الدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، إلى أي مدى تعتقد بصحة أو بطلان هذا الزعم؟



ج: ليس للعمل السياسي والإعلامي مرحلة يقف عندها، وهو انعكاس لقدراتك وإمكانيات فعلك، وليس مجرد رغبات وأحلام، ولم أرَ دولة قامت لأن زعماءها سياسيون محترفون ومفاوضون جيّدون، والبوسنة خير دليل على ذلك.

س: هناك من يطرح الكونفدرالية مع الأردن كخيار وحيد باقي أمام الفلسطينيين إذا ما أرادوا تحقيق الاستقلال والخروج من دائرة الطوق والتبعية لـ"إسرائيل"، فهل ترى أن هذا الخيار مقبول لدى الفصائل المجاهدة في فلسطين؟

ج: الكونفدرالية ليست الخيار الوحيد، فهناك صيغ كثيرة للعلاقة، تضيق وتتسع حسب مصالح الأطراف المعنية، ومن المبدأ فإن الوحدة أمر مطلوب وجيد، والكيانات الصغيرة لا تستطيع الحفاظ على مصالحها في كثير من الأحيان، وحبذا لو كان هناك صيغ تجمع الدول العربية والإسلامية جميعاً، بوجود دولة محورية، وغياب مصر في المرحلة السابقة كان له انعكاسات سلبية ذات آثار مدمرة على العالم العربي، وقوة مصر مهمة لصالح العالم العربي المشترك، حيث إن قوة مصر هي السبيل الوحيد لإعادة التوازن والاستقرار للمنطقة، وكل صيغ الوحدة والتعاون مطلوبة سواء كان الأمر متدرجاً أم في خطوة واحدة. هناك علاقات خاصة ومتميزة بين الأردن وفلسطين، أما هيمنة "إسرائيل" فلا أعتقد أن بإمكان "إسرائيل" الهيمنة على المنطقة أو على أجزاء منها لا حاضراً ولا مستقبلاً إلا إذا كنا من الضعف بحيث لا نستطيع تحديد خياراتنا بحرية. وعلى العرب أن يجتهدوا للوصول إلى مرحلة من التوازن العسكري مع "إسرائيل"، فـ"إسرائيل" في المستقبل تتجه إلى الضمور الجغرافي وليس التوسع، فالإسرائيليون لم يستطيعوا احتواء لبنان فما بالك بمصر أو السعودية أو سورية.

س: على ضوء واقع الهزيمة والتشرذم العربي، هل تعتقد بأن "إسرائيل" ستنجح في تأكيد وجودها كأحد المكونات الأساسية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط؟

ج: كان شمعون بيريز Shimon Peres رجلاً حالمًا وليس واقعيًا، ولا أعتقد أن "إسرائيل" تستطيع أن تُنافس مستقبلاً الكثير من دول آسيا اقتصادياً، وإذا

نظرت إلى دول مجلس التعاون الخليجي، فبالرغم من أنها دول ذات نسيج اجتماعي إن لم يكن واحداً فهو جُذ متطابق، واقتصادياتها ذات طبيعة واحدة متصلة جغرافياً، وأنظمة الحكم فيها متشابهة، وقد تنتمي أكثر الأسر الحاكمة إلى أصول واحدة، ومع ذلك لم تستطع الاتفاق على التعرفة الجمركية فيما بينها، ثم انظر إلى العلاقات بين مصر و”إسرائيل“، فهل كان لـ”إسرائيل“ أثر في اقتصاديات مصر؟

أما العوامل المؤثرة سواء في التشرذم العربي أم في اقتصاديات الدول العربية فهما أمران: أحدهما داخلي وأعني به مناهج التعليم والبرامج الاقتصادية وتداول السلطة وغيرها، والثاني خارجي هو السياسة الأمريكية في المنطقة وغياب التوازن الدولي معها ووجود ”إسرائيل“.

س: كيف تقرأ الخارطة العربية والإسلامية خلال السنوات العشر القادمة، وما هي صورة فلسطين، الأرض والشعب والمقدسات، فيها؟

ج: لا أعتقد أن السنوات العشر القادمة سيكون فيها تغيير كبير، وإن مفاوضات الحل النهائي ستطول أطول من السنوات الثلاث المحددة في الاتفاقية، مع تأجيل القضايا الكبيرة والصعبة، ومع عدم القدرة على التراجع ومع وجود اختلال، والاختلال في موازين القوى وعدم قدرة الجانب الفلسطيني على التوقيع على ”اتفاقية سلام“ بدون استقلال حقيقي، والقدس وعودة اللاجئين سيجعل من الصعب قراءة المستقبل إيجابياً، هذا إذا أضفنا المتغيرات الدولية والإقليمية واحتمال عودة القطبية كنتيجة طبيعية للتنافس الاقتصادي.

س: هناك من يقول بأن الحركة الإسلامية في فلسطين احتاجت إلى عشرين سنة من العمل الدعوي والإصلاح الاجتماعي والتعبئة الوطنية لحشد الجماهير وتحريكها للوقوف في وجه الاحتلال ومواجهة آتته العسكرية، حيث كانت الانتفاضة بحق تتويجاً للجهد الوطني – الإسلامي، والسبب الأساسي وراء انسحاب ”إسرائيل“ الجزئي ومجيء السلطة الفلسطينية، فكم سنة أخرى نحتاج لكي نصل إلى حقنا في تقرير المصير والعودة؟

ج: للحقيقة، لم تكن الحركة الإسلامية منفردة في مواجهة الاحتلال، فقد كانت فتح والجهاد والشعبية والديموقراطية مشاركة في تلك المواجهة وبدرجات مختلفة، ولكن الجزء الأهم هو تفاعل كل قطاعات الشعب الفلسطيني نساءً أو أطفالاً ورجالاً، أما الإجابة عن سؤالك حول المدة المتوقعة لإنجاز تقرير المصير لشعبنا، فهي صعبة وأتمنى أن يحدث ذلك في أقرب فرصة، ولكن ليس هناك من خيار للفلسطينيين، فلا يمكن أن يبقى الفلسطينيون مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، ولا يمكن أن يكتب عليهم التشرّد والرحيل، ولا يُمكن أن نربي أطفالاً ثم نتقاذفهم البلاد، ولا نستطيع رؤيتهم، فأنا لم أجمع بإخوتي وأخواتي منذ سنة 1960، فقضايا الدولة والسلطة وتقرير المصير ليست مجرد شعارات تُرفع، بل أصبحت في عصرنا أموراً لازمة كالماء والهواء، وسنبقى متمسكين بحقنا في العودة وتقرير المصير، حتى يأذن الله بالنصر المبين.

س: منذ استشهاد يحيى عياش وعودة كتائب القسام بعملياتها الاستشهادية حصلت متغيرات كثيرة على الساحتين الفلسطينية والإسرائيلية تجاه التعامل مع حركة حماس، فهل تعتقد أن سياسة العصا الغليظة التي انتهجتها السلطة الفلسطينية مع الحركة سوف تؤدي إلى تغيير استراتيجية الحركة، وبالتالي ترقب حدوث انتفاضة جديدة، ولكن هذه المرة، ضدّ الاحتلال وعناصر الشرطة الفلسطينية؟

ج: لم تكن الاعتقالات والتجاوزات في مجال حقوق الإنسان إلا لتزيد الناس إصراراً على ما هم عليه، فقد كان في الضفة والقطاع أكثر من 160 ألف جندي إسرائيلي، ومع ذلك فلم يستطيعوا حلّ المشكلة، وعناصر الشرطة الفلسطينية هم أبناءنا وإخواننا وهم من حمل هم القضية، ومنهم من كان ضحية للأجهزة الأمنية عربية أو إسرائيلية فكيف يتحول هؤلاء إلى جلادين، هذا أمر يصعب فهمه ولا أستطيع تصوّره، وسيستيقظ أكثر هؤلاء على هذه السياسة ليواجهها إذا استمرت، وللحقيقة فأبناء حماس يدفعون ثمن الوحدة الوطنية وهم في السجون... .

(انتهت المقابلة)

هذا التصور الواضح لدى أبو مرزوق جعل حركة حماس تتقدم بشكل كبير، وتظهر كفاعل مهم في معادلة الصراع مع الاحتلال الصهيوني، فمشاركة حركة حماس القوية في الانتفاضة الأولى سنة 1987 جعل من انطلاقها حضوراً جماهيرياً واسعاً على المستوى المحلي، ثم انطلاق كتائب القسام في بداية التسعينيات زاد من جماهير الحركة على المستوى المحلي والعربي، أما حادثة إبعاد قيادات العمل الوطني والإسلامي إلى منطقة مرج الزهور جنوب لبنان سنة 1992 فقد نقلت الحركة نحو العالمية، وبناءً عليه أصبح العالم يبحث عن قيادات حماس الرسمية؛ حتى يتحدث معهم بمسميات واضحة ومسؤولة فكان تأسيس المكتب السياسي ضرورة ميدانية اتفقت عليها جميع قيادات الحركة.<sup>3</sup>

أما بخصوص العدو فهو واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار، فلسطين كانت حرة قبل الاحتلال البريطاني، وبقيت كذلك بعد مجيئه، إلا أن الاحتلال البريطاني غدر بحرية فلسطين عندما سلم العصابات الصهيونية زمام الأمر في فلسطين سنة 1948، ومكنها من احتلال فلسطين بالقوة الغاشمة، والحيلة الماكرة، والخيانة الرائجة، بهدف تحقيق مصالحه السياسية والاقتصادية في المنطقة العربية دون قلق أو خوف، فالشرطي الصهيوني يعمل ليل نهار من أجل نزع فتيل الوحدة العربية، وتفتيت الأمة الإسلامية، وسلب مواردها البشرية والطبيعية، وإجهاض التجارب الديموقراطية التي ستحكم على وجوده بالإعدام إذا ما نجحت.

بالنسبة للفرق بين الديانة اليهودية والحركة الصهيونية التي تواطأت مع الغرب في أطماعه الاستعمارية تجاه فلسطين فقد أوضح د. أبو مرزوق موقفه إزاء هذه المسألة، تحت عنوان "موقف حماس من اليهود ومن الحركة الصهيونية"، وهي كما يلي:

<sup>3</sup> مقابلة أجرتها جيزال خوري مع الدكتور موسى أبو مرزوق، قناة بي بي سي، "المشهد"، 2014/4/10، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=-06FmksHDhQ>

الديانة اليهودية نعترف بها، ونؤمن بأنبيائها، ولا يكتمل إسلام أحدنا إلا بالإيمان بكل الرسل، إبراهيم، وموسى، وعيسى، وإسحاق، ويوسف، ويحيى عليهم السلام، ونحن لا نُفرق بين رسل الله، وننزههم عن الخطايا، والغش، وسوء الأخلاق. عاش اليهود بين المسلمين يؤاكلونهم، ويشاربونهم، ويتزوجون منهم، ويواسونهم في أحزانهم، ويشاركونهم أفراحهم، وحينما كانوا يُصابون باضطهاد من الغرب، كانوا يلجأون إلى بلاد المسلمين، حدث هذا عندما لجأوا إلى تركيا والمغرب وغيرها، عند اضطهاد الغرب لهم، ولم يسجل التاريخ أننا ظلمنا يهودياً أو مسيحياً، بل اعتبرنا حمايتهم ومواطنتهم ديناً وواجباً لا تفضلاً من المسلمين لوصية الرسول العظيم بهم.

لم يثر الفلسطينيين ضدّ اليهود (كحركة صهيونية) إلا بعد أن صدر وعد بلفور [Balfour Declaration] بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً وهم في ذلك الوقت لم يكونوا يمثلون سوى 8% من سكان فلسطين، إن مواقف الفلسطينيين ضدّ اليهود الصهاينة في فلسطين، هي لكونهم استولوا على أرض الفلسطينيين، وممتلكاتهم، وقتلوا النساء والأطفال، في أكثر من مئة مذبحة، أغمض الغرب عنها عينه للأسف الشديد. نحن هنا نقول "اليهود" لأنهم يصرون على أن تكون أفعالهم هذه باسم اليهود، ولذلك هم يصرون على أساس أن "إسرائيل" دولة اليهود.

أما الحركة الصهيونية، فهي حركة عنصرية، تشجع على القتل، واغتصاب الأرض، وتجميع الأموال، وتسليح الرجال، لقتل الأبرياء، نقلت مئات الآلاف من أوروبا، وروسيا، وإفريقيا، والمشرق، إلى فلسطين، واستولت على أراضي الفلسطينيين بالقوة والسلاح، وأنشأت المستعمرات على حساب الفلسطينيين الذين دُمّرت حياتهم، وأجبروا على اللجوء إلى المخيمات، حتى اللحظة يعيشون فيها لا سبب ولا ذنب لهؤلاء إلا ادعاءات دينية، لا أساس لها من الصحة في الدين والتاريخ. فلا يمكن أن يكون الرب العادل يمنح أناساً أرضاً للآخرين، ولا يمكن لرب عادل أن يعمل سمساراً لفئة دون فئة، كما يعتقدون.

هؤلاء الصهاينة على الرغم من ملاحقتهم للفلسطينيين بالقتل في المخيمات، وفي منازلهم، وفي عواصم العرب، ومؤسسات الغرب، إلا أن حماس اقتصرت في مقاومتها للاحتلال داخل فلسطين، ولم تعمل أي عملية مسلحة خارج فلسطين.<sup>4</sup>

وقد عضد أبو مرزوق أقواله بالأفعال عندما أجرى حواراً صحفياً مع صحيفة ذا فورورد The Forward اليهودية الأمريكية الأسبوعية، وهي من أهم الصحف اليهودية الأسبوعية في أمريكا، حيث صدرت لأول مرة بلغة اليديش Yiddish (اللغة التي يتكلمها يهود أوروبا الشرقية) سنة 1897، وكان توجهها يسارياً، وهدفها الدفاع عن العمال والاتحادات النقابية، وقد كان حوار أبو مرزوق أول مقابلة يُعطيها مسؤول رفيع المستوى في حركة حماس لصحيفة يهودية واسعة الانتشار، وكأنه بذلك يقصد مخاطبة يهود أمريكا الذين تعتمد عليهم "إسرائيل" اعتماداً أساسياً في ضمان موقف مؤيد بشكل شبه مطلق من السياسة الأمريكية للكيان الصهيوني. وقد كانت حماس في تلك المرحلة مقصورة في إيصال وجهة نظرها للرأي العام المخاصم لها، فجزء من هذا الرأي العام يمكن التأثير عليه لو تمكنت الفصائل الفلسطينية الوصول إليه. على أي حال أكد أبو مرزوق في مقابلاته الصحفية أن حماس لا تعترف بـ"إسرائيل"، ولذلك فإن أي اتفاقية تبرمها السلطة مع "إسرائيل" ستحولها حماس في حالة ما لو أصبحت هي الحكومة في الضفة الغربية والقطاع إلى هدنة. ويُذكر أن أبو مرزوق كان من أوائل المنظرين للهدنة منذ سنة 1994. كما أوضح أبو مرزوق أن الموقف الرسمي لحركة حماس إزاء العمليات الاستشهادية، هو عدم استهداف المدنيين، ويرى أن من يعبر عن موقف مخالف داخل حماس فهو يُعبر عن موقف شخصي.

ويقول أبو مرزوق: ولا تحسب أن الصهاينة في خارج فلسطين لا يعملون ضدّ الحق الفلسطيني، إنهم يجمعون أنفسهم، وأغلبيتهم من اليهود، في تجمعات سياسية (لوبيات Lobbying) للضغط على البرلمانات الأوروبية، وفي أمريكا،

<sup>4</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، في محسن محمد صالح (محرر)، حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 500-501.

مستخدمين المال، والإعلام، وصناديق الانتخابات، لتأييد "إسرائيل"، ومدها بكل أسباب القتل والتدمير.

وعليه فقد أكد أبو مرزوق على موقف حركة حماس من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ومشروع التسوية السلمية، والحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به حماس، بما يلي:

### 1. الاعتراف بالكيان الصهيوني:

إن الاعتراف بالكيان الصهيوني معناه التنازل عن 78% على الأقل (في ظلّ قبول تبادل الأراضي من قبل أبو مازن)، وهناك أصحاب لهذه الأرض، وأنا واحدٌ منهم، خرج أبي بالقوة من قريته بيننا، هو وكل أبناء القرية، خرجوا مشياً على الأقدام، حتى مخيم اللاجئين الفلسطينيين في رفح بقطاع غزة، جميع أفراد أسرتنا لن يرضوا بالتنازل عن حقنا، ولا عن قريتنا بديلاً، وكل الفلسطينيين لن يتنازلوا عن حقهم في العودة إلى ديارهم، ولو تمّ الاتفاق بين كل الأطراف لا مجال للاعتراف بالكيان الصهيوني على أرض آبائي وأجدادي؛ فلا اعتراف مهما كانت الوقائع ومهما اختلت الموازين.

### 2. اتفاقية أوسلو:

لقد كان رفضاً نظرياً في 1993، من قبل حماس ومعظم فصائل العمل الوطني المشاركة في م.ت.ف، وغير المشاركة فيها، ولكن اليوم وبعد عشرين عاماً تأكد رفضنا لهذه الاتفاقية لما آلت إليه الأوضاع الآن، فقد أخرجت المقاومة قوات الاحتلال من قطاع غزة، وكوّنت المفاوضات قوات الاحتلال والمستوطنين في الضفة، وما زالت المفاوضات مستمرة ولكن تمّ تجاوز اتفاقيات أوسلو إلى ما هو أكثر خطورة.

المفاوضات التي تجري اليوم، مرفوضة من الجماعة الوطنية بكاملها، حتى من فاضوا قدموا استقالتهم، وأعادهم أبو مازن للمفاوضات، والأخطر أن هناك ضغوطاً أمريكية، لقبول إطار جديد باقتراحات أمريكية، وتهديدات أوروبية وأمريكية لقيادة م.ت.ف، ولا أجد لها من عنوان غير دولة في بقايا الضفة في مقابل رواتب لموظفي السلطة. إن أوضاع العرب والفلسطينيين غير مناسبة ألبتة

لأي تفاوض مع الكيان الصهيوني، ويجب على السلطة التوجه إلى توحيد الشعب وجمع قواه تحت خيمة الوطن.

### 3. الحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به حماس:

مشروع التسوية السياسية قائم على مبدأ حلّ الدولتين، والاعتراف المتبادل، وإنهاء الصراع، وبغض النظر عن المبررات، فإنهاء الصراع مرفوض، وحلّ الدولتين مرفوض، والاعتراف المتبادل مرفوض، لأنه يتجاوز حقوق الشعب الفلسطيني وثوابته.

ولكن حماس وافقت على دولة فلسطينية، عاصمتها القدس، في الضفة والقطاع، وبدون مستعمرات، وبدون الاعتراف بـ"إسرائيل"، ولذلك فإن الحديث عن تشابه في الموقف بين حماس وفتح أمر غير صحيح، هناك فرق جوهري بين الموقفين.<sup>5</sup>

لذلك فإن أبو مرزوق يعدّ الصراع الموجود في المنطقة العربية صراعاً سياسياً بامتياز، الأمر الذي يجعل القضية الفلسطينية قضية عامة، وليست حكراً على الفلسطينيين أو العرب، وإنما مسؤولية العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم؛ لأنها أرض إسلامية مقدسة، لا يمكن لأحد مهما علت مرتبته أو سمت مكانته أن يتصرف بملك المسلمين، فهي وقف إسلامي لا يقبل البيع أو التنازل، مما يجعل جميع الدول العربية والإسلامية، أفراداً وحكومات أمام مسؤوليات تُوجب عليها أن تُبادر وتنصر القدس وفلسطين، وتدافع عنهما بقدر الاستطاعة دون قيود أو شروط.

وبناءً عليه فإن أبو مرزوق لا يُصنّف الدعم المعنوي والمادي تدخلاً في الشؤون الفلسطينية طالما أن فلسطين تحت الاحتلال، وطالما أن هذا الدعم يصب في مصلحة القضية وشعبها المناضل. بل إن تفاعل الدول العربية بالملف الفلسطيني ودعمه يُعدّ من البديهيات التي لا مفرّ منها، خصوصاً أن عدداً وازناً يُحيط بفلسطين المحتلة مثل مصر والأردن وسورية ولبنان، هذه الدول واجهت الاحتلال

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 501-502.



الصهيوني بالسلاح في بعض المراحل التاريخية، ومن ثم أصبح بعضها مشاركاً منظمة التحرير التي تمثل الشعب الفلسطيني في مسيرته النضالية.

يصف أبو مرزوق هذا التفاعل بقوله:

حضور الدول العربية في القضية الفلسطينية أمرٌ مهم ومتلازم من الناحية الجغرافية والوظيفية، فمنظمة التحرير مثلاً هي مكون من مكونات المنطقة العربية، تتصرف لرغباتها، وتستجيب لمطالبها، وهي عنصر أساسي في كل اللقاءات العربية والرسمية، فهم من أعادوا ترتيب أوراقها بالشكل الحالي، وقاموا بدعمها مادياً ومعنوياً، وبالتالي أي حراك فلسطيني له مرجعية عربية. ولك أن تأخذ هذا المثال، عندما انتهت فترة محمود عباس الرئاسية، ذهب إلى اجتماع الجامعة العربية لوزراء العرب؛ ليحصل على الشرعية القانونية لرئاسة السلطة الفلسطينية ومؤسساتها المختلفة، وقد قاموا بتوفير الغطاء لاستمراره في الرئاسة، بما يمثلونه من مرجعية قوية، لعلني أقول إن في المسألة الفلسطينية يوجد شرط أساسي للشرعيات التي تملكها، فإذا أردت أن تكون جزءاً من الشرعية الفلسطينية عليك أن تحظى بالشرعية العربية، فحماس مثلاً حصلت على الشرعية الانتخابية في 2006، وحصلت على شرعية المقاومة من الشعب الفلسطيني، إلا أن هذه الشرعية غير كافية حتى تُدير الشأن الفلسطيني أو أن تتحكم في السلطة الفلسطينية وقراراتها المتداخلة، لا بدّ من أمر آخر، وهو الشرعية العربية. وهذه الشرعية لها رأس، ورأسها مصر، بمعنى أن قرار مصر في القضية الفلسطينية هو الأهم على الصعيد العربي، للأسف مصر لم تكن مرحبة بحماس بعد الانتخابات، ولم تكن مرحبة باتفاقية مكة التي وقعت عليها السلطة الفلسطينية، بالتالي لم يُغادر الاتفاق الحبر الذي كُتب على الأوراق، لذلك من الضروري أن يفهم الفلسطيني أن الشرعية التي لم تأخذ الموافقة العربية هي شرعية ناقصة، ولا يُمكن أن ترى النور في ظلّ الواقع الحالي.<sup>6</sup>

إذاً، فإن فهمك لذاتك وللأهداف التي تسعى إليها، وإدراك البيئة المحيطة بك والمكونات المشتركة معها، وطبيعة العدو الذي عُرس في المنطقة ليُنبت حقداً

<sup>6</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012.

وأماً للشعوب العربية من قبل القوى الدولية، من أهم العوامل التي تضع التأثير الفلسطيني والعربي على السكة المندفعة نحو الحرية والانعقاد من الاحتلال وظلمه، ومن هنا يبرز خطأ العبارات التي انطلقت تتحدث عن الوطنية الفلسطينية منعزلة عن العرب ووحداية التمثيل لمواجهة الأردن ومقولة ”يا وحدنا“!

## ثانياً: أدوات الصراع المطلوبة:

”لا يمكننا توجيه الرّيع ولكن يمكننا تعرييل (الشراع حسب اتجاهها“

(أيسوب)

يقول د. موسى أبو مرزوق ”لا شك أن أولويات الصراع الفلسطيني الصهيوني تختلف من مرحلة لأخرى؛ نظراً لتعقيدات المنطقة، ومستجداتها المتقلبة، مما يدفع المفكر الفلسطيني نحو الاستعداد الدائم لتقييم ما مضى؛ حتى يستطيع استشراف المستقبل وأدواته التي بإمكانها أن تخدم القضية الفلسطينية وأهدافها النبيلة“<sup>7</sup>.

بعد الهجوم البربري الذي شنته العصابات الصهيونية على الأراضي الفلسطينية سنة 1948، أصدرت الأمم المتحدة القرار رقم 194 الذي قضى بنده 11 بضرورة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم ومدنهم وقراهم في أقرب وقت ممكن، وبالرغم من موافقة ”إسرائيل“ على هذا القرار طمعاً في الانضمام إلى الأمم المتحدة، إلا أنها لم تُطبق القرار حتى تاريخه، وهذا يعكس عجز الأمم المتحدة وقراراتها التي لا تستطيع أن تلزم الاحتلال بشيء، مما يُشكك في مصداقيتها، وإمكانية الاعتماد على شرعيتها.

إن العصابات الصهيونية التي جاءت من أصقاع الدنيا لتغتصب أرض فلسطين لن تتراجع عن مشروعها البربري بقرار هنا، أو توصية هناك، وقد شهد تاريخ

<sup>7</sup> مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، القاهرة، 2018/11/23.

النضال الفلسطيني أن مشروع التسوية مع الاحتلال الصهيوني لن يُجدي نفعاً في ظل غياب أدوات الضغط التي يُمكن أن تُجبر المحتل الصهيوني على الاعتراف بالحق الفلسطيني بالإضافة إلى التراجع الفعلي للاحتلال.

لقد علّق الفلسطينيون آمالاً كبيرة على الجيوش العربية التي اندفع أفرادها المخلصون نحو فلسطين للدفاع عن شرفها الطاهر من ذئاب العصابات الصهيونية، إلا أن مستوى الجهوزية، وجدية القتال، وإدارة المعركة، وقفت دون تحقيق الآمال المنشودة، ثم جاءت تجربة الثورة الفلسطينية التي اتخذت من الأردن ولبنان وسورية مقراً لقيادة الكفاح المسلح، ومباغثة العدو من نقاط مختلفة، فكانت العمليات النوعية التي حافظت على معادلة الاشتباك مع العدو، وانتزعت منه راحة الاستقرار، وجبرت الروح العربية المنكسرة إزاء نكسة 1967. وبعد أيلول الأسود سنة 1970 في الأردن، ومعركة بيروت سنة 1982 تشتتت منظمة التحرير وفصائلها المقاتلة في الدول العربية، وأصبحت الثورة في قائمة الأموات؛ لأن الاشتباك المباشر مع الاحتلال قد توقف، لابتعاده عن الحدود الفاصلة التي تجعل الاحتلال في قلق مستمر، واستنزاف دائم.

بقي العمل المقاوم في الأراضي الفلسطينية المحتلة شبه متوقف حتى اشتعال الانتفاضة الفلسطينية الأولى سنة 1987، ظهرت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" كفاعل أساسي في الانتفاضة الفلسطينية، ومرةً أخرى أبدع الشعب الفلسطيني في المقاومة الشعبية ضدّ ظلم الاحتلال، وأدواته القمعية، حتى مجيء السلطة الفلسطينية سنة 1994 إثر اتفاقية أوسلو، جاء ياسر عرفات بسلطة فلسطينية على أرض غزة وأجزاء من الضفة الغربية على أمل أن يمنحوه دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشريف، جاء منزوع السلاح، مُكبل باتفاقيات عديدة، ومرجعيات عربية مختلفة، والتزامات أمنية جسيمة، الأمر الذي شقّ الشعب الفلسطيني إلى جبهتين متناحرتين؛ الأولى تقف مع برنامج السلطة الفلسطينية القائم على التسوية السياسية، والثانية تؤمن بالكفاح المسلح، وتقف ضدّ برنامج المفاوضات السياسية.

وبعد أن أيقن ياسر عرفات أن الاحتلال الصهيوني لن يُقدم له حلم الدولة الفلسطينية، استثمر غضب الجماهير الفلسطينية إزاء دخول أرييل شارون باحات المسجد الأقصى المبارك، وسمح للفصائل الفلسطينية أن تُقاوم الاحتلال بعد أن غلَّ يدها وقتاً من الزمن، فاشتعلت الانتفاضة الثانية سنة 2000 حتى سنة 2005.

في وجود العلاقات المتداخلة، والرؤى المتباينة، والضرورات الجامعة، وبعد ما تقدم من السرد التاريخي، يرى أبو مرزوق أن وجود الاحتلال يستلزم "مقاومة" تحمل في طياتها كافة الطرق والوسائل التي تُجبره على الاعتراف بالفلسطيني وحقه في وطنه وممتلكاته وحياته التي سلبها منذ عقود مضت، هذه الاستراتيجية العملية التي يتبناها أبو مرزوق أثبت التاريخ أنها الأفضل في انتزاع الحقوق. وقد دلل على ذلك بتجربة المصريين في حرب 1973 المجيدة واستعادة سيناء، وتجربة حزب الله ومقاومته الباسلة في جنوب لبنان سنة 2000، وتجربة قطاع غزة في طرد الاحتلال سنة 2005، حيث انسحب الاحتلال الصهيوني من المنطقتين نتيجة المقاومة المسلحة.

وقد وصف د. أبو مرزوق هذه المرحلة بقوله:

انظر إلى الأحداث بدءاً من سنة 2000 كانت تصب جميعها في اتجاه واحد، وهو نجاح برنامج المقاومة، وفشل مشروع التسوية وكامب ديفيد، وهذا ما كان متوقفاً من معظم الأطراف، بالتأكيد كانت الضغوطات هائلة على ياسر عرفات رحمه الله في هذه الاتفاقية، إلا أنه استطاع أن يخرج من الفخ الذي نُصب له في كامب ديفيد بمهارة عالية، فالمؤامرة كانت تستهدف القدس ومستقبلها التاريخي. ومن ناحية أخرى انفتاح سورية على حماس ضمن محور المقاومة والممانعة، فحافظ الأسد لم يكن في علاقاته منفتحاً مع الحركة بشكل كبير، كان لديه بعض التحفظات، لذلك كانت مقيدة من خلال القيادة العامة، والتعاون لم يكن بالحجم الذي كان في عهد ابنه الرئيس بشار، حتى في تعامله مع إيران لم يكن بالشكل الذي كان في عهد بشار الأسد، كانت حسابات حافظ الأسد في بناء العلاقات دقيقة جداً، ولا يسمح لبعضها أن تتطور أكثر مما هو مطلوب، كان يزن مواقفه بميزان حساس في هذا الموضوع. من ناحية ثالثة كان الانسحاب

الإسرائيلي من جنوب لبنان يصب في مصلحة المقاومة وأدواتها المختلفة، فقد استطاع حزب الله أن يُخرج القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان بفعل ضرباته العسكرية المتتالية، ومن هنا ظهرت نجومية حسن نصر الله وأصبحت واضحة في هذا المجال؛ وخصوصاً أنها المرة الأولى التي ينسحب فيها الإسرائيلي من أراضي عربية بدون مفاوضات، وبفعل مقاومة مسلحة لا تملك طائرات، ولا دبابات، بل بالأسلحة الخفيفة التي تستطيع أي منظمة فلسطينية أن تحصل عليها في هذه المرحلة بالذات، أما بخصوص حماس في فلسطين المحتلة بدأت تتماسك من جديد بعد الضربة القاسية التي تلقتها من أجهزة السلطة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني، فوجود الشيخ أحمد ياسين في غزة، ووجود معظم القيادات الشابة التي خرجت من السجن، مثل الشيخ صلاح شحادة وآخرين ساعد بشكل كبير على إعادة تشكيل الحركة من جديد، وانتظام كوادرها بشكل فاعل، لكن العامل الأهم في سرعة العمل وتنظيمه هو وجود الشيخ أحمد ياسين، بغض النظر عن حجم من خرج في ذلك الوقت، لأن العنصر الذي كان ينقص قطاع غزة ليست القيادات الشابة التي كنا ننتظرها، كان ينقصها قائد يستطيع جمع شتات التنظيم، وتجتمع عليه القلوب، وفي تلك المرحلة كان من الصعب إيجاد قيادة تجتمع عليها القلوب غير الشيخ أحمد ياسين، فالتنظيم كان ممزقاً، كثير من الناس أصبحوا خارج التنظيم بسبب حزب الخلاص، وآخرين بسبب مواقفهم من الانتخابات، وآخرين خوفاً من الاعتقال الإسرائيلي، وبعضهم بسبب تخوفهم من الشكل التنظيمي الموجود، كل مشكلة من المشاكل التي ذكرتها كانت تمثل كتلة كبيرة من التحديات في تلك المرحلة في قطاع غزة.<sup>8</sup>

هذه الأحداث المتتابعة مثلت رصيماً كبيراً للمقاومة المسلحة، وللفضائل الفلسطينية التي تبنت هذا المسار الوطني، فبعد أن استشهد عدد من قيادات الشعب الفلسطيني أمثال رئيس السلطة ياسر عرفات، والشيخ أحمد ياسين، ود. عبد العزيز الرنتيسي وآخرين، اختار الشعب الفلسطيني حركة حماس قيادة له في انتخابات 2006، الأمر الذي أدخل غزة في حروب عدة وصفها أبو مرزوق

<sup>8</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012.

بأنها اعتداءات بربرية تعكس همجية "إسرائيل" والفكر العنصري الذي قامت عليه، وأشاد أبو مرزوق بمشروع المقاومة الفلسطينية الذي استطاع بفضل استعداداته المستمرة أن يصد اعتداءات الاحتلال بكفاءة واقتدار.

أما في من ينتقد المقاومة بمعيار الربح والخسارة، فقد صنفاها أبو مرزوق بقوله:

إنها مناكفة سياسية هدفها الغيرة، في السابق كان يظهر لنا من يفترى على المقاومة بشكل أكثر، لكن اليوم عندما ترى المقاومة تتصدى لاعتداءات الاحتلال لمدة 51 يوماً، وتقتل من جنوده، وتأسر من ضباطه، عندها ستقلب هذه الغيرة إلى تأييد، فالمعركة التي خاضها الشعب الفلسطيني في غزة لم تتعرض لها الجيوش العربية في أي معركة سابقة. حرب 67 كانت ستة أيام، حرب 73 كانت 27 يوماً، أنت تتحدث عن 51 يوماً لم يتوقف سلاح العدو الجوي والبري والبحري عن القصف والتدمير في قطاع محاصر منذ ثماني سنوات وخطوط إمداده مقطوعة. أعتقد أن هذا المشهد البطولي الذي قدمت فيه غزة 2,600 شهيد، وأكثر من 11 ألف جريح غير عبثي على الإطلاق. عندما ننظر بموضوعية إلى ما أنجزته المقاومة في مختلف الميادين سنشعر بالعزة والفخر؛ لأن هناك جزءاً من أبناء شعبنا المقاومين صنعوا تاريخاً عظيماً في ظل معطيات مادية صعبة، لقد صنعوا السلاح حين مُنع عنهم السلاح وأدواته، وأبدعوا استراتيجية حفر الأنفاق، وقاتلوا العدو من نقطة صفر، وصدوا اعتداءاته المتواصلة، وقاتلوه خلف خطوطه، بالتأكيد سنفتخر بهم بالرغم من اختلاف البرامج.<sup>9</sup>

بالرغم من ثقة أبو مرزوق بالمقاومة ومشروعها المتنامي إلا أنه لا يميل إلى تضخيم قوة المقاومة، ومقارنتها بقوة الجيوش المنظمة؛ لأن شعب فلسطين وقضيته أوضح من بيان قوته وقدرته، وشرعية المقاومة له واضحة وقوية ويكفلها جميع أحرار العالم، والسبب الثاني هو أن الاحتلال وآلاته الإعلامية ستستخدم هذه الأقوال في دعايتها التي تُصورها بالضحية المعتدى عليها من قبل الفلسطينيين.

<sup>9</sup> مقابلة أجرتها ليلي الشايب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، التلفزيون العربي، "حديث خاص"، 2017/2/13. (بتصرف)

يقول أبو مرزوق :

العدو الصهيوني لا يتردد في استخدام مكره الذي يهدف إلى قتل الفلسطيني بالوسائل كافة، لذلك ينبغي على جميع الفصائل المقاومة أن تأخذ حذرهما بشكل دائم، لأن طبيعة الاحتلال تميل إلى الغدر والقتل والدمار، تميل إلى ضرب الفلسطيني أينما كان، الاحتلال يحب الفلسطيني الميت، وليس الحي الذي يقاومه، الاحتلال لا تعنيه الذرائع المنطقية التي تمكنه من ضرب الفلسطينيين، فهو قائم زوراً وبهتاناً، فأحياناً تكون الانتخابات الداخلية سبب عدوان طاحن، كما حصل في حرب عناقيد الغضب التي شنت على لبنان، وأحياناً تكون أزمة متعلقة بفساد رئيس الوزراء أو ما شابه ذلك.<sup>10</sup>

في المقابل أكد أبو مرزوق على عبثية برنامج التسوية السياسية؛ لأنها أرجعت الشعب الفلسطيني إلى مربع الصفر قبل سنة 1995، بدليل أن الأوضاع قبل مجيء السلطة الفلسطينية من خلال اتفاق أوسلو كانت أفضل بكثير مما وصلنا إليه في 2017.

إن رفض أبو مرزوق لمشروع التسوية يأتي في سياق التجربة العملية التي أثبتت أن مقاومة الاحتلال ودعمها من أحرار العالم هي الاستراتيجية التي يمكن أن يُراهن عليها، وليس الالتزامات والاتفاقيات التي تُعزز من وجود المحتل الصهيوني، وتُشتت الشعب الفلسطيني في المنافي واللجوء. وهذا ما أوضحه عندما قال :

نحن نراهن على شعبنا، نراهن على حقوق شعبنا الكاملة، ولا نراهن على أحد سوى الله سبحانه وتعالى ثم شعبنا والأمة العربية والإسلامية بعد ذلك، هي بلا شك مع هذا الخيار، ولا أعتقد أن هناك شكاً في ذلك، وبالتالي نحن نراهن على حقائق لا على أوهام.

”إسرائيل“ لا مستقبل لها ولن يتخلى الشعب الفلسطيني عن شبر واحد من أرضه، وكل هذه الدعاوي من حلول جزئية، حلول وهمية لن يكتب لها النجاح، من 1994 إلى 2017 مضي 23 سنة لا يوجد تقدم في مشروع التسوية السياسية،

<sup>10</sup> المرجع نفسه.

لذلك لا بدّ من مراجعة هذا المسائل. المجلس المركزي تحدث في آخر جلساته عن إعادة النظر في المسار السياسي مع "إسرائيل" بما يشمل الاتفاقيات والتنسيق الأمني؛ لذلك فإنّ أحد المعوقات في موضوع المصالحة هو التزامات منظمة التحرير، وهنا أقول لماذا نأتي بهذه الالتزامات في هذه اللحظة، وخصوصاً أن العدو لم يلتزم بها بشيء، ثم نريد أن نلزم كل الأطراف الفلسطينية بها.<sup>11</sup>

ولا يفهم من قراءة أبو مرزوق للواقع الفلسطيني وتبنيه لخيار المقاومة على حساب برنامج التسوية أنه يُقلل من دور العمل السياسي أو الدبلوماسي في الدفاع عن القضية الفلسطينية، على العكس من ذلك، فهو يُؤمن بأهمية العمل السياسي ودوره الفاعل في إدارة المعركة مع الاحتلال الصهيوني، ولكن أن تكون السياسة تخدم المقاومة وبالعكس، لا أن تكون السياسة كابحة لعجلة التدافع مع المحتل الصهيوني.

وقد وضح أبو مرزوق هذه المسألة بقوله:

إن العمل المقاوم يجب أن يستمر، ويجب أن يكون بمرجعية سياسية حكيمة، العمل المقاوم يجب أن يكون بشكله ونوعه وحجمه مدروساً، حتى تستطيع أن تتجنب مضاعفات غير محسوبة؛ بمعنى أن العمل المقاوم ليس شيئاً مفتوحاً على إطلاقه، كما يريده بعض الشباب، صحيح أن الاحتلال يستلزم مقاومة، لكنها يجب أن تكون محسوبة بتقدير ودقة، بيد أن المحذور الأساسي في هذه المسألة أن تكون الحسابات معوقاً أساسياً أمام استمرار العمل المقاوم، فالعمل المقاوم يجب أن يستمر ما بقي هناك احتلال، وما بقي هناك فلسطيني جالس على الحدود ينتظر العودة.<sup>12</sup>

هذا هو الفكر العملي للدكتور موسى أبو مرزوق لمواجهة الاحتلال الصهيوني، وهذه هي الفلسفة السياسية التي يتبناها في قيادة المشروع الوطني، وعليه فقد أبدى استغراباً شديداً من تصريحات الرئيس محمود عباس التي أكد فيها أن له ما فوق الأرض وأن لحماس ما تحت الأرض، وذلك في سياق المصالحة

<sup>11</sup> المرجع نفسه.

<sup>12</sup> المرجع نفسه.



الفلسطينية، وتشكيل حكومة وحدة وطنية. ورفض أبو مرزوق المساومة على سلاح المقاومة لما لذلك من تداعيات خطيرة، تمس سيادة الشعب الفلسطيني وقراراته المستقلة. وطالب حركة فتح بالكف عن التفكير في نزع سلاح المقاومة أو تحجيم هذا النهج، والسعي لتكامل البرنامج وصولاً إلى تحقيق أهداف مشتركة "توافقنا عليها فلسطينياً". ودعى جميع الأطراف المعنية بالقضية الفلسطينية إلى ضرورة حماية مشروع المقاومة تحت الأرض وفوق الأرض وفي الضفة والقطاع وكل فلسطين.

وعليه، فقد صرح أبو مرزوق جميع الأطراف بأن المطلوب فلسطينياً هو الشراكة الوطنية، وتطبيق ما جرى الاتفاق عليه في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذا يتطلب إجراءات عدة أبرزها ما يلي:

**أولاً:** اتخاذ خطوات عملية من قبل السلطة الفلسطينية؛ وأولها إنهاء العقوبات التي فرضت على قطاع غزة وممارسة مسؤولياتها من تطبيق ما تم الاتفاق عليه، والتوقف عن سيل التصريحات المتعلقة بالمقاومة سواء كانت استجابة للضغوط الأمريكية أم الإسرائيلية. وإذا كان هناك التزامات في هذا الصدد فيجب مراجعة الالتزامات وليس إقحامها في العلاقات الوطنية، وخصوصاً في ظلّ عدم التزام الطرف الآخر بأي شيء، مع إدراك أن الأمن الوظيفي حق لكل موظف خدم في القطاع العام، وسيبقى موظفو الحكومة ضمن هياكلها.

**ثانياً:** وجوب الفصل بين رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية ورئاسة السلطة الفلسطينية، وأن تكون منظمة التحرير المظلة الجامعة لكل الفصائل وللسلطة الفلسطينية؛ لأن النظام السياسي الفلسطيني قائم على مؤسستين هما السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير، والسلطة قد تطورت تطوراً إيجابياً ولم تبقَ على ما نصت عليه اتفاقية أوسلو، وهذا يعني أن النظام السياسي الفلسطيني بإمكانه أن يتطور بشكل أفضل.

وأخيراً، يؤكد د. موسى أبو مرزوق أن حركة حماس أكثر الجهات التي تطالب بتشكيل حكومة وحدة وطنية؛ لأنها خطوة مطلوبة للوصول إلى الوحدة الوطنية،

وكل تأخير في هذه الخطوة يعني تأخيراً في إعادة تجديد منظمة التحرير، وتأخيراً في إعداد برنامج وطني متفق عليه.<sup>13</sup>

## ثالثاً: ترتيب البيت الفلسطيني وأهميته:

”سر النجاح يكمن في أن تفهم الرأي الآخر“

(هنري فورد)

عندما سُئل د. موسى أبو مرزوق عما سيحدث لحماس إذا ما انضمت إلى منظمة التحرير، وهل ستذوب حركة حماس في مربعات منظمة التحرير المتشعبة، وبالتالي ستُصبح مثل فتح؟ أجاب:

إن الذوبان شيء إيجابي في إطار الوحدة الوطنية، والمصلحة الوطنية، والمنظمة في إطار وطني، والإطار الوطني متوافق فيما بينه، وهو إطار تحالفي وليس وحدة اندماجية ذات برنامج واحد، ولكن هناك توافق على تحديد من هو العدو! ومن نحن! وماذا نريد! وهناك الكثير من النصوص في اتفاقية 2011 التي تُحدد ذلك، وتُجرم التنسيق الأمني، وتُفعل العمل المقاوم بكافة أشكاله، يوجد توافق شامل على ذلك، وفي الوثيقة المصرية ما يؤكد ذلك.<sup>14</sup>

هذا الموقف التوافقي الذي يتبناه د. موسى مع المجموع الوطني لم يكن وليد اللحظة، بل كان فكراً سياسياً يصب في مصلحة الكل الفلسطيني في مواجهة العدو الصهيوني، فموقف حماس تجاه السلطة الفلسطينية التي انطلق قطار عملها في قطاع غزة والضفة الغربية إبان اتفاقية أوسلو سنة 1993 كان موقفاً سياسياً يقوم على الترحيب وعدم الصدام معها بأي شكل من الأشكال.

يقول د. موسى ”بلا شك هذا الموقف فيه مصلحة راجحة للشعب الفلسطيني لكنه في الوقت نفسه أربك السلطة الناشئة وحساباتها التي كانت تريد التصادم،

<sup>13</sup> انظر: أبو مرزوق في حوار الأسئلة الصعبة: قرار المصالحة ملزم لكل الأعضاء، صحيفة القدس، القدس، 2017/10/26، انظر: <http://www.alquds.com/articles/1508995772894543000>

<sup>14</sup> انظر: مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/أكتوبر 2012.

وتُعبئ عناصرها القادمة من بعيد لأرض الوطن بذلك، وليس التوافق في الساحة الوطنية، بقيت الأمور على حالها حتى جاءت مجزرة مسجد فلسطين، كانت ثورة عارمة قُتل فيها أحد عشر فلسطينياً بالإضافة إلى عشرات الجرحى<sup>15</sup>.  
إذاً كانت اتفاقية أوسلو محطة فارقة في تاريخ القضية الفلسطينية، فقد فرّقت بين أبناء الشعب الفلسطيني وفصائله المتعددة التي اتخذت من المقاومة المسلحة سبيلاً واضحاً للتخلص من الاحتلال الصهيوني واعتداءاته المتكررة، لذلك فإن من الأهمية بمكان الوقوف على أبرز حيثيات هذه المرحلة وما أنتجت من مواقف مختلفة.

يقول أبو مرزوق:

فبعد أن وسعت حركة حماس علاقاتها الخارجية مع معظم الدول العربية، وتألفت في العمل العسكري ضدّ الاحتلال الصهيوني في مطلع التسعينيات جاءت اتفاقية أوسلو ورسمت مرحلة فاصلة في تاريخ الشعب الفلسطيني؛ لأنّ جزءاً أساسياً من القيادة الفلسطينية انسلخ عن المجموع الوطني، وغير البرنامج السياسي بشكل كامل، وأصبح العدو هو أقرب من الرفيق، وأصبح رفيق الأمس عدواً صريحاً؛ لأنه يُعارض التسوية السياسية التي خرجت باتفاقية أوسلو، لقد كانت مرحلة حساسة استطاع المكتب السياسي لحماس أن يقودها باقتدار، لقد نجينا أنفسنا من حرب أهلية كادت أن تعصف بالكل الفلسطيني، بعد قدوم منظمة التحرير وقواها الأمنية من الخارج إلى الداخل معبئين من أجل مواجهة حماس.

بالتأكيد دفعت حماس ضريبة قاسية نتيجة مواقفها غير المنسجمة مع توجهات السلطة ورغباتها المختلفة، فكانت الاعتقالات لأفراد وقيادات حركة حماس بالجملة، وكانت سجون السلطة تضج بعمليات التحقيق والتعذيب لمن يخطط لعمل عسكري ضدّ الاحتلال الصهيوني، أو لمن قام بعمل عسكري ضدّ جنود الاحتلال، أو لمن ينتمي لحركة حماس أو الجهاد الإسلامي تنظيمياً وتمثيلاً،

<sup>15</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

وكان الاعتداء على مؤسسات حركة حماس بشكل همجي من مؤسسة لأخرى، فقد تم الاستحواذ على الكثير من أموال الجمعيات الخيرية التي كانت تديرها حركة حماس أو غيرها، وتم تجميد عمل المجمع الإسلامي الخيري، ووضع بعض المعوقات أمام الجمعية الإسلامية، والجامعة الإسلامية.

وبالرغم من القسوة التي استخدمتها السلطة الفلسطينية تجاه حركة حماس إلا أن الأخيرة ظلت ثابتة على موقفها تجاه السلطة وممارساتها التعسفية ضد حركة حماس، وظلت تنتهج نهج الصبر وعدم التصادم معها، نعم كان هناك حوارات شبه يومية من أجل امتصاص الغضب، وتخفيف حالة التوتر السائدة في موقف السلطة إزاء اتفاقية أوسلو المشؤومة.<sup>16</sup>

وفي هذا السياق كشف أبو مرزوق عن موقفين من الحوار مع أبي عمار رئيس السلطة الفلسطينية من أجل وقف العمل العسكري ضد الاحتلال الصهيوني؛ الموقف الأول كان عبر الأستاذ عدنان سعد الدين، حيث أراد التوسط والحديث المباشر، ولكن كان رأي الإخوة في المكتب السياسي أن لا يذهب أبو مرزوق لمقابلة ياسر عرفات، فذهب الأخ خالد مشعل والأخ محمد نزال إلى اللقاء، فغضب أبو عمار غضباً شديداً لعدم مجيء أبو مرزوق إلى اللقاء، وبالتالي لم ينجح اللقاء، لأنه لم يحدث؛ فالترتيب لهذا اللقاء كان مفاجئاً وسريعاً لدرجة أن الأخ أبو الوليد ارتدى جاكيت أبو مرزوق، لعدم جهوزيته المسبقة للقاء ياسر عرفات.

أما الموقف الثاني فقد كان حين أرسل أبو عمار الأستاذ عبد الرزاق يحيى ليتفاهم مع أبي مرزوق حول موضوع أسر بعض جنود الاحتلال في مدينة القدس (عملية توليدانو Toledano)، حيث كان المطلب الأساسي لحماس هو إخراج النساء من الاعتقال، وبالنسبة للسلطة إطلاق سراح المخطوفين والتوقف عن مثل هذه الأعمال، غير أن يحيى رجع إلى أبي عمار بخفي حنين، وفشل الحوار في الوصول إلى نقطة اتفاق.

<sup>16</sup> المرجع نفسه.

يُوضح أبو مرزوق:

على الرغم من أن اللقاءين في 1994 و1995 لم ينجحا، إلا أن التشدد في الموقف بدا واضحاً، وخصوصاً في موضوع العمليات العسكرية التي وضعت حماس في دائرة الاتهام الذي يُحاول أن يُعيق تقدم عمل السلطة ونجاحها، وهذا بلا شك سبب مهم؛ فهي لم تتقدم بالعملية السياسية، لقد ظنَّ بعض قادة الاحتلال أنه من الممكن تحييد العمل العسكري، والاستفراد بالقضية الفلسطينية، ولما رأوا العمل العسكري حاولوا أن يتراجعوا في العملية السياسية، وكانت بوادر التغيير في المجتمع الإسرائيلي من اليسار إلى اليمين المتطرف باقية، حتى وصلت إلى اغتيال إسحق رابين [Yitzhak Rabin]، والانقلاب على أوسلو.

من خلال حواراتنا مع بعض الشخصيات الوازنة في السلطة الفلسطينية اكتشفت أنهم يُفاوضون بدون قاعدة معلومات أو بيانات أمنية واضحة سواء في الضفة الغربية أم قطاع غزة. كانوا يطلبون الاستشارات في بعض المسائل الفنية من خبراء خارجيين، لا سيما الأمنية والقانونية والاقتصادية، مثل اتفاقية (بروتوكول) باريس [Paris Protocol] الاقتصادية استعانوا بأساتذة الاقتصاد في مصر والأردن. هناك مشكلة حقيقية في إدارة المفاوضات خصوصاً في الجانب الأمني المتعلق بالسلطة الفلسطينية، لذلك فإن اتفاقيات أوسلو كانت تتجه لصالح الإسرائيلي، فمع تغيير حزب العمل [Labor Party] ومجيء الليكود سنة 1996 [Likud] غيروا في الاتفاقية بشكل كبير، فقسموا الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق (ألف، وباء، وجيم) وثبتوا اتفاقية باريس بعد أن كانت لعام واحد، والتي مضت بدون أي معوقات على الرغم من أنها اتفاقية كارثية للاقتصاد الفلسطيني؛ لأنها ألحقتة بالاقتصاد الإسرائيلي، ومنعته من التعامل المباشر أو المنفرد تجارياً مع أي دولة عربية بأي شكل من الأشكال.<sup>17</sup>

في ظل سلوك السلطة القائم على تنفيذ اتفاقية أوسلو بأي طريقة ممكنة أدركت حماس أهمية ترتيب البيت الفلسطيني وجمعه على كلمة تأخذ بيده نحو مواجهة الاحتلال وخطته المدمرة للحق الفلسطيني، لذلك عمل أبو مرزوق مع إخوانه

<sup>17</sup> المرجع نفسه.

في المكتب السياسي على التواصل مع الفصائل الفلسطينية كافة، من أجل اتخاذ موقف حاسم تجاه اتفاقية أوسلو التي تنتقص من حقوق الشعب الفلسطيني وأدواته النضالية المشروعة، فتم تشكيل جبهة وطنية أطلق عليها "الفصائل العشرة" في تلك المرحلة، التي كانت تتواجد فيها هذه الفصائل في سورية ورافضة لاتفاقية أوسلو.<sup>18</sup>

بقيت حماس تتحمل ظلم السلطة الفلسطينية تجاه أفرادها ومؤسساتها المختلفة دون أن تتصادم بشكل مباشر مع السلطة الفلسطينية، حتى عندما تعرض زعيمها المؤسس الشيخ أحمد ياسين إلى إقامة جبرية لم تتصادم مع السلطة وأجهزتها الأمنية، وظل شعار حماس ﴿لَنْ بُسَطَتْ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 28]. ولكن نشأ في نفوس أبناء الحركة الإسلامية وعقولهم حالة من الرفض والكرهية، لا سيما أنهم كانوا يُقارنون بين اعتقالات الاحتلال واعتقالات السلطة وتجاوزاتها، وبقي هذا الأمر حتى بدء الانتفاضة الفلسطينية الثانية، إذ توحد الفلسطينيون على كلمة واحدة، ولقنوا العدو الصهيوني ضربات متتالية، دفعت الأخير إلى اغتيال الكثير من قيادات العمل الوطني والإسلامي، مثل أبو عمار، والشيخ أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى، وغيرهم الكثير ممن قادوا تلك المرحلة بتميز واقتدار.

هذه الاغتيالات المتواصلة لرموز الشعب الفلسطيني وكوادره الفعالة دفعت الساحة الفلسطينية نحو مستجدات ميدانية عدة؛ أبرزها ما يتعلق بدور عملاء الاحتلال الصهيوني في الوصول إلى قيادات المقاومة المختلفة، وهل للسلطة الفلسطينية دور مباشر في اغتيال القيادات الفلسطينية وفقاً لاتفاقية أوسلو التي تتضمن التنسيق الأمني مع الاحتلال؟

تتباين الآراء الفلسطينية في هذا الشأن استناداً لأسباب موضوعية في بعض الأحيان، وغير موضوعية في أغلب الأحيان، وذلك لتركيبية الشعب الفلسطيني الذي قد يُغلب رؤية الحزب ونظرته الحادة في كثيرٍ من التوجهات، أما بخصوص رأي

<sup>18</sup> المرجع نفسه.

د. موسى في هذه المسألة فإنه لا يرى أن السلطة الفلسطينية لها يدٌ مباشرة في ذلك، غير أنه لا يُعفيها من مسؤولياتها الرئيسية تجاه العملاء ونشاطاتهم الإجرامية في حقّ الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة؛ وقد وضح ذلك بقوله:

لا أتصور تنسيق السلطة الفلسطينية مع الاحتلال في تلك المرحلة بالحجم الذي يتكلم به بعض العوام، أعتقد أنه كلام مبالغ فيه كثيراً، لكن أجهزة السلطة لم تفعل أي شيء تجاه العملاء الموجودين بين الشعب ومؤسساته المختلفة. أنا لا أتهم أحداً ولا أبرئ أحداً، فقط أقول معلومات، إن السلطة في تحقيقاتها العامة، وفي بعض أمورها الخاصة تُنسق أمنياً مع "إسرائيل"، تُخبرها عن بعض التحركات العامة، لكن عندما يتعلق الأمر بالاغتيال لا أعتقد أن السلطة تُسهم في هذه العملية، ولا يجرؤ أي فلسطيني أن يفعل ذلك، حتى لو كان يُنسق مع "إسرائيل"، هذا ظني الغالب، فـ"إسرائيل" لا تحتاج أحداً في مثل هذه المسائل، "إسرائيل" لديها أجهزة وأدوات متقدمة بشكل كامل، ولديها عملاء منتشرين في معظم الأماكن، وكان بإمكانهم تحديد الهدف بشكل دقيق، كان هذا متاحاً لها بشكل كبير، لذلك فإن الغرابة تقتضي أن تأخذ مكانها عندما نسمع عن دور السلطة في اغتيال الشيخ أحمد ياسين؛ لأنه كان معرضاً لذلك في السجن، وفي البيت، لم يكن محصناً ضدّ الاغتيال، وهذا الأمر ينطبق على شهداء الشعب الفلسطيني بشكل عام. حتى في الخارج المسائل الأمنية صعبة التحصين، الموساد الإسرائيلي لا يحتاج سوى قرار رسمي حتى يصل إلى الشخص المستهدف. هذا لا يعني أن نستسلم لكن يجب أن نتطلى بالمسؤولية الوطنية، وألا نخون بعضنا البعض؛ حتى لا نقع في المحذور.<sup>19</sup>

هذا الاعتقاد لدى أبو مرزوق تجاه السلطة ومؤسساتها المختلفة لم تكن مجرد كلمات تسعى لتحسين صورة سياسية أمام الرأي العام، وإنما مواقف عملية تصب في مصلحة البيت الفلسطيني الذي يُشكل القوة الحقيقية في مواجهة الاحتلال الصهيوني، وقد برز من بين هذه المواقف الشجاعة دعم حركة حماس للرئيس الراحل ياسر عرفات عندما تعرض لحصار إسرائيلي في رام الله من أجل عزله سياسياً ووطنياً.

<sup>19</sup> المرجع نفسه.

يصف أبو مرزوق الموقف بقوله :

أعتقد أن حماس بلورت موقفاً في منتهى الأخلاق في تلك المرحلة، بالرغم من أننا على خصومة شبه دائمة مع عرفات رحمه الله لكن في هذه المرحلة كان التواصل بين عرفات وبين الأخ أبي الوليد، رئيس المكتب السياسي السابق لحماس، بشكل مستمر، وأكثر من طرف في حماس تواصل معه، لقد تواصلت معه مرات عدة في رام الله وخاصة في المناسبات، فحركة حماس كانت علاقتها مع أبي عمار في تلك الفترة علاقة جيدة، ووقفت بجانب أبي عمار في صراعه مع الولايات المتحدة و”إسرائيل“؛ لأنهم أرادوا اغتياله سياسياً، أو تجريده من مناصبه وإضعافه بشكل كبير، لقد وجدنا في هذا الاستهداف، استهدافاً للكل الفلسطيني وليس لأبي عمار، وبالتالي وقفت حماس إلى جواره في هذه المرحلة، وأعتقد أن فتح كتنظيم كان لها موقفٌ تبلور في مواجهة الطرف الآخر من قيادات التنظيم التي واجهت أبا عمار مثل محمد دحلان، ومحمود عباس، وسلام فياض، وفي ذلك الوقت اتُّهم محمود عباس بالخيانة من قبل أنصار عرفات، لكننا رفضنا هذا الأسلوب في التعامل الداخلي، أي أننا تعاملنا بروح المصلحة الواحدة بعيداً عن التخوين والتكفير، وقدمنا الأخلاق على الخلافات الحزبية.<sup>20</sup>

حتى بعد استشهاد رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات قدمت حركة حماس مرونة عالية في التعامل مع الفصائل الفلسطينية كافة، فقد شاركت في حوارات وطنية عدة أسهمت في إيجاد حالة من الهدوء الداخلي من أجل عقد الانتخابات الرئاسية والتشريعية، بالرغم من أنها تُدرك اختلافها الجوهرية مع بعض الشخصيات الرئيسية في تلك الحوارات التي قادت مسار التسوية السياسية مع الاحتلال الصهيوني، ورفضت خيار المواجهة المسلحة مهما كانت الظروف والأوضاع. وقد وضع أبو مرزوق هذا الأمر بقوله :

لم يكن في فكر أبي مازن مثلاً خيار المواجهة العسكرية مع الاحتلال الصهيوني ألبتة، حتى في ذروة الأحداث التي حصلت في لبنان في الثمانينيات من القرن الماضي لم يكن مشاركاً فيها، لقد اعتزل المشهد الثوري بشكل كامل؛ لأن المجموع لا يريد

<sup>20</sup> المرجع نفسه.



الذهاب إلى الخيارات الأخرى، كان دائم الحديث عن خيارات التسوية السياسية مع "إسرائيل"، حتى عندما ظهر في حركة فتح بعض الأشخاص الذين يتحدثون عن أن فلسطين ليست للشعب واحد ولكن للشعبين، كان على رأس هذا التوجه محمود عباس، ومنهم من كتب أن كل عملياتهم هي لتحسين مواقفهم التفاوضية والوصول إلى تسوية سياسية، ومنهم من قال نريد أن نصل إلى دولة فلسطينية على أي جزء من الضفة الغربية أو قطاع غزة.<sup>21</sup>

بالتأكيد البيت الفلسطيني لا يقتصر على حركة فتح ومؤسساتها المختلفة، لكنها تمثل الحجم الأكبر على صعيد الساحة الفلسطينية نسبة بحجم الفصائل الأخرى، وتمثل المؤسسة الرسمية سواء على صعيد قيادة منظمة التحرير أم رئاسة السلطة الفلسطينية، لذلك فإن موقف حركة حماس تجاهها يأخذ مساحة أكبر، خصوصاً بعد تعاظم شعبية حركة حماس، وفوزها بالانتخابات التشريعية سنة 2006، يصف أبو مرزوق علاقة حركته بفتح بقوله:

إن العلاقة بين فتح وحماس معقدة لأسباب موضوعية، حيث تمثل فتح قيادة م.ت.ف. ومعظم أجهزتها وممثليها في السفارات والهيئات الدولية، بالإضافة إلى السلطة الفلسطينية، والتي تشكل فتح عمودها الفقري، بالإضافة إلى تنظيم كبير وقيادات مختلفة في التشريعي والوزارات، هذا مع الأخذ بالاعتبار أن إشكالات الخلاف والاتفاق، أو الصراع والمصالحة، بدأت تظهر بشكل كبير بعد فوز حماس بالانتخابات التشريعية، وخسارة فتح لأول مرة انتخابات عامة بهذه الطريقة غير المتوقعة، وانعكاس هذه الانتخابات على قيادة فتح للمشروع الوطني، ومؤسساته لا سيّما م.ت.ف، وكانت الخشية من دخول حماس لأجهزة المنظمة بالتوافق أو بإجراء انتخابات تُغيّر المعادلة الداخلية، ومن هنا كان الموقف من رفض دخول حماس م.ت.ف. والدعوة المبكرة لإعادة الانتخابات التشريعية، بالإضافة إلى التسليم بالنتيجة بشكل شكلي، ومحاولة إسقاط حماس في أول تجربة لها.<sup>22</sup>

<sup>21</sup> المرجع نفسه.

<sup>22</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، ص 505-506.

يُضيف أبو مرزوق أن الخلاف حول المشروع الوطني الفلسطيني برز عندما رأت حركة فتح بأنه:

لا بد من الحل السلمي وعبر المفاوضات، وصولاً لدولة فلسطينية عاصمتها القدس بجوار دولة أخرى اسمها "إسرائيل" كتجسيد لحل الدولتين وإنهاء الصراع وحل عادل لقضية اللاجئين بدلاً عن حق العودة.

وحماس ترى أن لا شرعية لـ"إسرائيل"، وتؤمن بعدم الاعتراف بها، وأن برنامج المقاومة، هو البرنامج الأساس لتحرير فلسطين، وعودة الشعب الفلسطيني لأرضه، وأن لا مانع من دولة فلسطينية في الضفة الغربية، وغزة، والقدس عاصمة لها بدون الاعتراف، وبدون مستعمرات، وبدون إنهاء الصراع.

الاختلاف الثالث حول الشرعية، حيث لا ترى فتح أن هناك أيّ شرعية لحماس، سواء كان ذلك بالانتخابات والفوز بالمجلس التشريعي، أم بالمقاومة كشرعية أساسية في مراحل التحرر الوطني؛ وتنحصر الشرعيات عند فتح بالرئيس الفلسطيني، وقرارات المجلس الوطني والمركزي؛ وهي لا تُعبر بالضرورة عن إرادة الشعب الفلسطيني، بل عن سياسة فتح على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي.<sup>23</sup>

وفي إطار الحديث عن البيت الفلسطيني بالتأكيد لم تغفل حركة حماس دور الفصائل الفلسطينية الأخرى في تشكيل الوحدة الوطنية، وتقوية الصف الفلسطيني الداخلي من خلال قنوات عدة، أبرزها دائرة العلاقات الوطنية التي تضم ممثلي الفصائل كافة من أجل التواصل المستمر، والتنسيق الدائم في بلورة الموقف السياسي العام، والفعل الميداني تجاه اعتداءات الاحتلال غير المنتهية، وقد تطورت هذه العلاقات لتشمل الأحزاب اليسارية التي تميزت بالنظرة الحادة تجاه حركة حماس التي تتحرك وفق منطلقات إسلامية، إلا أن الحوارات الداخلية سبرت أغواراً كثيرة كانت الأيديولوجيا قد عمقت اتساعها، وقد ازدادت العلاقة بين حماس واليسار في خضم انتفاضة الأقصى سنة 2000، حيث اتفق الطرفان

<sup>23</sup> المرجع نفسه.

على استمرار الانتفاضة، وإصلاح النظام السياسي، وتفعيل دور المنظمة، وقد وضع أبو مرزوق بداية العلاقة بقوله:

في الساحة الفلسطينية هناك فتح وحماس والجهاد الإسلامي وقوى اليسار، تاريخياً كان هناك حركة القوميين العرب والحزب الشيوعي الفلسطيني ولكن تبنت حركة القوميين العرب الأفكار اليسارية. ولذلك تستطيع أن تقول بأن قوى اليسار الفلسطيني قسماً؛ قسم اصطف إلى جانب المقاومة وعارض اتفاقيات أوسلو، وعملنا سوياً للجهاد وحماس وقوى اليسار الفلسطيني في دمشق، تحالفاً فلسطينياً تحت اسم "تحالف قوى الشعب الفلسطيني"، وهناك قوى أخرى قد تحمل الأسماء نفسها ولكن ظلّ أمنائها العامون أعضاء في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤيدين لاتفاقيات أوسلو. وعلاقتنا مع هؤلاء لا بأس بها ولكنهم مصطفون إلى جانب حركة فتح سياسياً، وإن كانت الاتصالات والعلاقات معهم لا مشاكل فيها.<sup>24</sup>

## رابعاً: العمق العربي وحضوره الفاعل:

”إذلا كنت تريير أن تلسب أحرراً لقضيتك عليك أوللاً أن  
تقنع، بأئك صديقته“

(إبراهيم لنكولن)

يتسم ملف العمق العربي بالأهمية البالغة لدى الحركة الوطنية الفلسطينية؛ فهو يمثل الحاضنة الأساسية التي ينطلق منها الفلسطينيون نحو إدارة الصراع مع الاحتلال الصهيوني، الأمر الذي يُوجب على الأطراف كافة بلورة استراتيجية خاصة للتعامل مع هذا العمق سواء على صعيد الحكومات أم الشعوب، وقد كان لحركة حماس أسسٌ عامة تنطلق من خلالها للتعامل مع الأنظمة العربية وشعوبها الحرة، أبرزها السياسات التالية:<sup>25</sup>

<sup>24</sup> المرجع نفسه.

<sup>25</sup> علاقات حركة حماس مع العالم العربي، موقع الدكتور عدنان أبو عامر، بتصرف، انظر:

<http://adnanabuamer.com>

## 1. حصر العمليات العسكرية داخل فلسطين المحتلة:

أكدت حماس على هذه الاستراتيجية التي تعتمد الساحة الفلسطينية ساحة وحيدة للصراع العسكري مع العدو، ورفضت توسيع الرقعة الجغرافية لعملياتها، بالرغم من الاعتداءات التي تعرضت لها قيادة الحركة في الخارج، فقد قام جهاز الموساد الإسرائيلي بمحاولة اغتيال رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل على الأراضي الأردنية سنة 1997، كما قام باغتيال عز الدين الشيخ خليل سنة 2004، وهو أحد كوادر حماس في دمشق عن طريق تفجير سيارته، وكذلك اغتيال محمود المبحوح في دبي، ومع ذلك كان للحركة موقف حاسم بعدم نقل مسرح عملياتها خارج الأراضي المحتلة.

## 2. عدم التدخل بالشأن الداخلي للدول العربية والإسلامية:

استطاعت حماس طوال الفترة الماضية أن تنأى بنفسها عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية، واستطاعت أن تبني علاقات متوازية مع الحكومات ومع المعارضة المحلية على حدّ سواء، ويستشهد كثيرون بأن حماس استطاعت أن تبني علاقات متينة مع القيادة السورية بالرغم مما بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين من خلاف وصل تاريخياً حدّ المواجهة الدموية، وكذلك كانت حريصة على أن لا تثير حساسية النظام المصري من علاقتها مع إخوان مصر.

أما في لبنان حيث بلغ الصراع الداخلي مداه، فقد تمكنت حماس من البقاء على مسافة واحدة من طرفي النزاع فيما يتعلق بالشؤون الداخلية، وإن كانت تعلن بوضوح أنها مع مشروع المقاومة في مواجهة المخطط الأمريكي - الإسرائيلي للمنطقة، وأبقت خطوط الاتصال والتواصل مفتوحة مع كل من المعارضة والحكومة، كما أسهمت حماس في أثناء أزمة مخيم نهر البارد في تحصين الساحة اللبنانية من نزاع لبناني - فلسطيني كان يمكن أن يشكل تهديداً حقيقياً للسلم الأهلي في لبنان.

### 3. عدم الصدام مع الأنظمة:

عاجت حماس خلافاتها مع الدول العربية بكثير من الصبر والروية وابتعدت في مواقفها وبياناتها عن سياسة الاتهام والتجريح على النمط التقليدي الذي تعتمد به بعض القوى والفصائل، واعتمدت بالمقابل لغة النقد الموضوعي والنصح والمناشدة دون قطع جسور التواصل حتى في أحلك الظروف. لم توجه الاتهامات لمصر على الرغم من الدعم الأمني لفريق محمد دحلان، وظلت تقدم الدلائل والبيانات للقيادات المصرية عن تورط "فريق دايتون" في عمليات القتل والتخريب. ولم تفتح جبهة مع النظام الأردني حين فبركت الأجهزة الأمنية الأردنية مسألة خلية تهريب الأسلحة، بل اكتفت بالنفي والتأكيد على أنها اتهامات باطلة أريد منها قطع الطريق على زيارة محمود الزهار لعمّان. وحين أمسكت كتائب القسام شاحنات العتاد العسكري المرسلة من دولة خليجية معروفة لحرس الرئيس عباس اكتفت حماس بالقول إن الدعم قادم من دولة خليجية دون التسمية، وخفف قياديوها من الوطأة لاحقاً عندما قالوا إن العتاد لا يتضمن أسلحة هجومية بل سترات واقية وخيام.

كما حرصت حماس على التواصل مع جامعة الدول العربية وأمينها العام في جميع المناسبات والقمم سواء بالمشاركة أم المراسلة، ولم تهاجم المبادرة العربية للسلام أو تنسفها من أساسها واكتفت بالقول إنها تحتاج لإعادة النظر وإن "إسرائيل" نفسها لا تقبل بها.

### 4. الابتعاد عن التصنيف المحوري:

بخلاف تجربة منظمة التحرير، استطاعت حماس أن تظل خارج المحاور العربية والإقليمية، وبالرغم من التباين الحاد بين دول المنطقة فيما يتعلق بالعلاقة مع الكيان الصهيوني، فإن حماس استفادت إلى حد ما من هذه التناقضات دون أن تغرق في وُحولها. فلربما كانت إيران تشكل المتنفس الأبرز للحركة في وقت من الأوقات حين اشتد الحصار الدولي والعربي على حكومتها الأولى، وقدمت إيران للشعب الفلسطيني من المساعدات العسكرية؛ السلاح، والتدريب، والخبرة الفنية، ما لم تقدمه أي دولة في العالم، حتى تجرأ البعض باتهام الحركة بأنها تقف في

المحور الإيراني - السوري في مواجهة المحور السعودي - المصري - الأردني، حتى قال بعض السطحيين إن ما قامت به حماس في غزة كان تنفيذاً لأجندة إيرانية - سورية في المنطقة.

في الواقع استطاعت حماس أن تحافظ على شخصيتها وهويتها والأهم من ذلك على أجندتها الوطنية، فقد أظهرت في أكثر من مناسبة أن إيران تقف إلى جانب حماس في مواجهة المشروع الإسرائيلي وأطماعه، ولكن ليس على حساب علاقاتها مع الدول العربية وشعوب المنطقة. دانت حماس إعدام صدام حسين في الوقت الذي رحبت فيه إيران بالعملية، ودعمت بصراحة المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكي فيما كان الموقف الإيراني ملتبساً، ثم تبددت كل الهواجس حين توجهت حماس إلى المملكة السعودية لتوقيع اتفاق مكة مع حركة فتح وأظهرت كل الانفتاح على القيادة السعودية.

هذا الانفتاح لم يعكر صفوه حسن العلاقة بين حماس وقطر، بالرغم من التنافس المصري القطري السعودي المزمّن، بل عملت حماس على بناء علاقات جيدة مع الطرفين بالرغم من خلافاتهما. وكانت الحفاوة ظاهرة في استقبال إسماعيل هنية في الدوحة وما قُدّم لحكومته من مشاريع بلغت قيمتها مئات الملايين من الدولارات لدعم الشعب الفلسطيني.

أما على صعيد التنافس السوري - المصري فيما يخص القضية الفلسطينية، فإن حماس لم تملك خياراً سوى المحافظة على التوازن في العلاقة بين الطرفين، فسورية هي الحاضن لقيادات الخارج ومصر معبر قيادات الداخل، وكلاهما (مصر وسورية) يشكل عاملاً حاسماً في مصير الصراع العربي الإسرائيلي.

ولا يخفى أن مصر قدمت دعماً كبيراً لخصوم حماس، لكن حماس حرصت على عدم إخراج مصر من المعادلة سواء فيما يتعلق بملف الوساطة بينها وبين فتح أم بملف الجندي الإسرائيلي الأسير جلعاد شاليت Gilad Shalit بالرغم من حساسية وخطورة الملف الأخير بالنسبة للحركة، وبقيت سياسة حماس في المحافظة على العلاقة مع مصر مهما كانت السياسة المصرية اتجاهاً.

من هنا يمكن القول إن الأسس التي اعتمدها حركة حماس في علاقاتها مع الدول العربية كانت أساساً سليمة مبنية على رؤية استراتيجية واضحة، مستفيدة من الأخطاء التي وقعت فيها الحركات الفلسطينية سابقاً ودفع ثمنها الشعب الفلسطيني، كما حدث عقب الغزو العراقي للكويت. ومع ذلك فإن الدول العربية التي تزداد ضعفاً وارتباكاً كل يوم أصبحت أكثر قابلية للخضوع والتراجع أمام المشروع الأمريكي، ما يعني مزيداً من التضيق وسد المنافذ على حماس، وهذا ما حصل فعلاً بعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية، وازداد وضوحاً بعد فشل خطة دايتون Dayton Agreement في غزة وإمساك حماس بزمام الأمور هناك.

(انتهى النص)

وبناءً على ما سبق، انطلقت حركة حماس نحو العالم العربي من أجل التشبيك الرسمي والشعبي الذي يجعل من الاحتلال الصهيوني جسماً بالياً، معزولاً عن العالم، وعن هذه التحركات يقول د. أبو مرزوق:

منذ اتفاقية أوسلو في [آذار] مارس 1993 حتى طرد بعض أعضاء المكتب السياسي لحماس من الأردن في [حزيران] يونيو 1995، عمل المكتب السياسي لحماس على توسيع علاقاته الرسمية وغير الرسمية، فشملت دول الخليج، والسعودية، والسودان، واليمن، ومصر، ولبنان، وسورية، وإيران، والعراق، وبعض الأحزاب السياسية، والعشائر القبلية، والشخصيات الوطنية، والمنظمات القومية والإسلامية والهيئات الشعبية. ومع مرور الوقت اتسعت علاقات حماس التي انتقلت من المقاومة الشعبية إلى خطف الجنود. ثم انتقلت في مطلع التسعينيات من المقاومة الشعبية الأكثر كلفة في تاريخ المقاومة إلى المواجهة المسلحة الأقل تكلفة من الناحية البشرية والاقتصادية. لقد كانت أكثر خسارة في الجانب الإسرائيلي؛ لأنها تميزت بالعمل المنظم الذي يعتمد على عاملي التخطيط والشجاعة في المواجهة المباشرة، خصوصاً في قطاع غزة الذي سجل التاريخ أسماء قياداته العسكرية في صفحات البطولة والشجاعة، فقد أذاقوا المحتل الصهيوني عمليات عسكرية عدة، بالرغم من التسليح المتواضع والتدريب الداخلي. بالتأكيد كان للخارج دورٌ مهمٌ في العمل العسكري داخل الأراضي المحتلة، وقد

تمثل في تبني العمليات العسكرية، وتزويد المقاتلين بالتدريب والسلاح والمال، والسياسات العامة، وكذلك الأمر في الضفة الغربية، لكن حجم الاعتقالات في الضفة الغربية كان كبيراً؛ لذلك صار في عمليات عدة لها علاقة بتحرير الأسرى مثل عملية القدس عملية توليدانو.<sup>26</sup>

وفي خضم هذا المشهد كانت حركة فتح قد بلورت اتفاقاً سياسياً مع الكيان الصهيوني، اقتضى على إثره مجيء السلطة الفلسطينية لتفرض واقعاً أمنياً يُحافظ على أمن "إسرائيل" مقابل وعد لم يُنفذ إلى اليوم وهو إقامة دولة فلسطينية على حدود حزيران 67، وبعدها انجرت المملكة الهاشمية الأردنية لعقد اتفاق مع الكيان الصهيوني والذي عُرف باتفاق وادي عربة في تشرين الأول/أكتوبر 1994 الذي يدفع الأردن أن يتخذ موقفاً حازماً مع المنظمات المناهضة لـ "عملية السلام" مع الاحتلال الصهيوني، وبالتالي أصبح الضغط على حركة حماس داخلياً وخارجياً لوقف العمليات العسكرية التي انعكست إيجاباً على الجماهير العربية بعد روح اليأس التي اتخذت مكاناً عند البعض نتيجة سلسلة الهزائم التي تعرضت لها القضية الفلسطينية.

يقول د. أبو مرزوق "سألنا مدير المخابرات الأردنية مصطفى القيسي في ذلك الوقت عن تأثير اتفاقية وادي عربة على تواجد حركة حماس في الأردن؟ أجاب بقوله: لا، لن تؤثر على وجود الحركة، لكن الحقيقة لم تكن كذلك".<sup>27</sup>

وبعد سلسلة من العمليات العسكرية التي نفذتها حماس ضد الاحتلال الصهيوني، وبعد ضغط الاحتلال الصهيوني والسلطة الفلسطينية، اتخذت الأردن قراراً بإغلاق مكتب حركة حماس الذي كان يعمل بطريقة شبه رسمية على أراضيها المباركة.

<sup>26</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/أكتوبر 2012. (بتصرف)

<sup>27</sup> المرجع نفسه.



يُوضح د. أبو مرزوق المشهد بقوله:

الأردن لم يكن مستعداً أن يحتوي حركة حماس بالشكل الذي يستمر من خلاله تنفيذ عمليات عسكرية ضدّ الاحتلال، كانوا يظنون بوجود حماس في الأردن أنهم قادرون على أن يُغيروا من سياسات الحركة وسلوكها. وبعد أن خاب ظنهم، ولم يُصبح المأمول واقعاً على الأرض، طردوا حركة حماس، وأغلقوا مكاتبها الرسمية، وبما أن الملك حسين كان الأمهر في استخدام حماس كورقة في مواجهة منظمة التحرير والمجتمع الدولي فلم يجعل الطرد بشكل كامل، فقد حصره في الشخصيات التي لا تحمل جنسية أردنية، وبالرغم من الطرد الجزئي إلا أن المكتب لم يستطع العمل كما كان سابقاً، فقد كان المكتب مفتوحاً للجميع بشكل رسمي، والاجتماعات تُجرى به بشكل دائم وعلني.<sup>28</sup>

### علاقة حركة حماس مع جمهورية مصر العربية:

لطالما عبرت حركة حماس عن أهمية مصر ودورها المحوري في المنطقة العربية والإسلامية؛ لما تمثله من تاريخ عريق، وموقع استراتيجي، وهمة عالية في التصدي لمخططات الأعداء، وقد شاب العلاقة المصرية الحمساوية بعض الفتور وخصوصاً بعد فوز الأخيرة في انتخابات 2006، وأحداث الانقسام الفلسطيني سنة 2007، وصعود الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم بعد ثورات الربيع العربي التي وصلت شراراتها إلى معظم الدول العربية، مما سبّب لحماس كثيراً من الانتقادات الفكرية، والمغالطات التي اتخذها البعض ذريعة لتحقيق مكاسب سياسية.

وفي هذا الصدد يُبين د. أبو مرزوق موقف حركته من المستجدات الأخيرة بدءاً من الروابط التي تجمع الشعب المصري والفلسطيني، فقال:

لا يمكن فصل العلاقة بين مصلحة الشعبين المصري والفلسطيني، ولا يمكن حساب العلاقة بمصالح ضيقة سواء كانت على صعيد الفكر أم الممارسة؛ لأن العلاقة بينهما تاريخية ومصيرية، لذلك نحن معنيون بالعلاقة العميقة مع الشقيقة مصر، معنيون بأن نُزيل كل المشاكل الموجودة، وأن يعود معبر رفح

<sup>28</sup> المرجع نفسه.

دولياً كما كان، مصر كانت تحمل القضية الفلسطينية في أوقات متعددة، وكانت تحمل عبء العرب، كما حملت منظمة التحرير بنسختها الأولى والثانية.<sup>29</sup>

لذلك فإن الجيش المصري في اعتقاد أبو مرزوق هو محل تقدير واحترام؛ فالجيش المصري خاض حروباً عديدة ضد الكيان الصهيوني، بالإضافة إلى دور مصر الاستراتيجي التي حمت من خلاله المنطقة الشرقية بتضحيات أبنائها عبر التاريخ؛ لذلك فإن أبو مرزوق يعتقد أن لمصر "دوراً مهماً في المستقبل".<sup>30</sup>

أما عن جدلية الأنفاق وما يتعلق بها فقد وصفها أبو مرزوق بما يلي: "هي تعبير عن فراغ قانوني وسياسي، يوجد حصار على قطاع غزة أنتج الأنفاق، يجب رفع الحصار، وملء الفراغ الموجود بمعنى فتح معبر رفح بطريقة طبيعية".

وعن الأحداث الأخيرة (الثورة المصرية 25 كانون الثاني/يناير 2011) التي خلطت أوراق العلاقة بين مصر وحماس، فقد تحدث أبو مرزوق عنها بشكل واضح، فقال: "حماس لم تتدخل في مصر سواء في ميدان التحرير أم السجون أم أي مكان داخلي عربي، كل ما يقال عنا في مصر عبارة عن تدافع سياسي داخلي، الهدف منه استخدام حماس بشكل خاطئ في حسابات داخلية، فسياستنا ضد أن نطعن في أي نظام من الأنظمة العربية فضلاً عن التدخل بشؤونها؛ لأن فلسطين قضية العرب والمسلمين كافة".<sup>31</sup>

ولم يُنكر أبو مرزوق اجتماع حركته بالرئيس محمد مرسي عقب انتخابه رئيساً لجمهورية مصر العربية في قصر الاتحادية بحضور المخابرات والجيش؛ لمناقشة قضية المصالحة الفلسطينية،<sup>32</sup> فحماس تدرك جيداً بأن المخابرات المصرية هي الحاضنة الرئيسية للملف الفلسطيني، فهم المسؤولون عن الشأن الفلسطيني كله.

<sup>29</sup> مقابلة أجرتها ليلى الشايب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، التلفزيون العربي، "حديث خاص"، 2017/2/13. (بتصرف)

<sup>30</sup> المرجع نفسه.

<sup>31</sup> المرجع نفسه.

<sup>32</sup> مقابلة أجرتها جيزال خوري مع الدكتور موسى أبو مرزوق، قناة بي بي سي، "المشهد"، 2014/4/10.

بالتأكيد غيرت سياسة مصر تجاه حركة حماس نحو الأفضل مع صعود محمد مرسي رئيساً لمصر، بمعنى أنه تعامل بشكل متساوٍ بين حركتي فتح وحماس، حسب تعبير د. أبو مرزوق.<sup>33</sup>

وقد وجهت حركة حماس رسالة للمبعوث الأممي لعملية السلام في الشرق الأوسط توني بلير Tony Blair أكدت فيها "أن مصر بالنسبة لحماس ليست مجرد دولة جارة، وأمنها واستقرارها ووحدة أراضيها مصلحة فلسطينية مطلقة وقوتها قوة للشعب الفلسطيني، ولا أحد ينظر لمصر بهذا المنطق تقريباً غير الفلسطينيين، وخاصة سكان قطاع غزة".<sup>34</sup>

وأضاف أبو مرزوق: "لا يمكن أن يكون قطاع غزة مكاناً لإيذاء مصر، أو وقوع ضرر لها، ولم نُهمل أي اتصال أو لم نتعامل معه بجدية ومسؤولية خصوصاً حينما يتعلق الأمر بأمن مصر، وقطعاً لن تكون غزة مرتعاً للإرهاب أو موطناً لأي حركات مصرية أو غيرها".<sup>35</sup>

### علاقة حركة حماس مع المملكة العربية السعودية:

فتحت حركة حماس ذراعيها بشكل كامل نحو العمق العربي الذي يُمثل لها القوة الحقيقية التي يمكن من خلالها انتزاع الحق الفلسطيني من فم الذئب الإسرائيلي، فتوجهت نحو الجميع على أساس فلسطين التي تستحق دعم الجميع دون شروط سياسية أو تكتلات مذهبية، أو أطماع خارجية، وكانت المملكة العربية السعودية من أبرز الدول التي سعت حركة حماس لإقامة علاقة قوية مع مؤسساتها المختلفة، خصوصاً وأن المقدسات الإسلامية عامل مشترك بين مكة المكرمة والقدس المباركة.

<sup>33</sup> مقابلة أجراها طوني خليفة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الجزء الثاني، قناة القاهرة والناس، "أجراً كلام"، 2013/5/19، انظر: [https://www.youtube.com/watch?v=cNm\\_MQTKF7g](https://www.youtube.com/watch?v=cNm_MQTKF7g)

<sup>34</sup> عمرو عدلي، في حقيقة الموقف المصري من حرب غزة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2014/8/7.

<sup>35</sup> أحمد يوسف، نفقٌ في نهاية نهاية الضوء: الفلسطينيون إلى أين؟، وكالة سما الإخبارية، 2015/2/26، انظر: <http://samanews.ps/ar/>

قبل احتلال العراق للكويت بدأت العلاقات السعودية الحمساوية تتبلور عبر لقاءات مختلفة بين قيادات حركة حماس والاستخبارات العسكرية السعودية، يقول د. أبو مرزوق عن هذه المقابلات:

التقيت مع مدير الاستخبارات السعودية الأمير تركي الفيصل، شقيق سعود الفيصل، مدير الاستخبارات السعودية سابقاً، وسفير السعودية في بريطانيا، التقيته مرات عدة في التسعينيات قبل وبعد احتلال العراق للكويت، وبعد تحرير الكويت تعززت العلاقات بيننا بشكل كبير، ونتيجة ووقوف حركة فتح التي ترأس منظمة التحرير الفلسطينية مع العراق في احتلالها للكويت عرضت السعودية من خلال مدير مخابراتها العسكري على حماس أن تكون بديلاً عن حركة فتح في رئاسة المنظمة، وأن تقوم السعودية بدفع كامل التكاليف التي ستحتاجها حماس إذا ما وافقت على ذلك، وقد اعتذرنا لهم، ولم نقبل هذا العرض المغربي، لأن في ذلك نزاعاً داخلياً فلسطينياً قد لا يندمل.<sup>36</sup>

بالتأكيد لم تسخط السعودية على حماس نتيجة رفض الأخيرة للعرض المقدم؛ فالمسائل السياسية لا تقف أمام خيارات فارقة، يقول د. أبو مرزوق:

بعد تحرير الكويت استضافتنا المملكة السعودية، ثم أخذونا بطائرة خاصة إلى الكويت، وكان برفقتي الأخ محمد نزال، فقد حلقتنا فوق الأراضي الكويتية؛ حتى نرى مدى الدمار الهائل الذي أحدثه الاحتلال العراقي للكويت، فعلاً كان دماراً هائلاً بمعنى الكلمة، الشوارع منزوعة الأسلاك الكهربائية، الفنادق مدمرة، آثار الحرائق في كل مكان، رأينا الشوارع منزوعة البلاط، نُهب مقتنيات المؤسسات ونُقلت إلى العراق، وبعد هذه المشاهد المؤلمة عدنا بالطائرة نفسها إلى الرياض، ومن الرياض إلى جدة، لكن دائماً علاقاتنا بالسعودية كان هدفها حسن العلاقة مع النظام ومساحة معتبرة لحرية جمع الأموال، فقد كانت المملكة السعودية المصدر الأهم لمالية حركة حماس.<sup>37</sup>

<sup>36</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/أكتوبر 2012. (بتصرف)

<sup>37</sup> المرجع نفسه.

لم تتوقف زيارات حماس للمملكة العربية السعودية، بل ازدادت تواصلًا وقرباً، وخصوصاً بعد زيارة الشيخ أحمد ياسين للسعودية، يقول أبو مرزوق:

كنتُ وإخواني في المكتب السياسي لحماس برفقة الشيخ ياسين عند زيارته للسعودية، وكان برفقتنا رئيس المكتب السياسي آنذاك الأستاذ خالد مشعل، وقد تميزت هذه الزيارة بالمستوى الكبير الذي كان في استقبالنا، فلأول مرة يكون في استقبالنا مسؤول سعودي في مستوى الأمير عبد الله، بركة الشيخ ياسين كانت حاضرة في اللقاءات كلها، وبعد ذلك أصبح الأمير عبد الله يستقبلنا كوفد للحركة بشكل سنوي تقريباً في رمضان حتى بعد أن أصبح ملكاً استقبلنا مرات عدة وقدم مبادرته الكريمة للإصلاح، وخرج باتفاقية مكة، لكن بعد الأحداث في غزة توقف.<sup>38</sup>

بعد هذه العلاقة المميزة بين حماس كحركة مقاومة للاحتلال الصهيوني والمملكة العربية السعودية رأس النظام السني في المنطقة العربية والإسلامية، جاءت مرحلة بدأت فيها العلاقة تذهب نحو الفتور؛ نظراً للاختلاف الذي حصل بينهما إزاء مبادرة الأمير عبد الله سنة 2002، يُوضح أبو مرزوق هذا الاختلاف بقوله:

خلافنا مع السعودية كان على قبول المبادرة السعودية التي أطلقها الأمير عبد الله التي أطلق عليها الإعلام مبادرة 2002، خلافنا بدأ عندما رفضنا المبادرة، لم تتفهم السعودية هذا الرفض، وصنعت منه جداراً من العزلة حال بيننا، وأجهض العلاقات الطيبة التي بيننا، وهذا الموقف لا نُحبذ أن يصدر عن دولة بحجم السعودية، فقد اختلفنا مع إيران في مراحل عدة كانت تجمعنا بها علاقات طيبة ولم تتخذ موقفاً كالذي اتخذته السعودية، في بعض الأحيان كانت وجهة نظر إيران أصوب من وجهة نظر الحركة، لكننا لم نوافقها في كثير من الأحيان، وهذا يعكس استقلالية حماس في القرار؛ فمثلاً نصحتنا إيران بعدم تأسيس حزب الخلاص، وأسسنا حزب الخلاص، نصحتنا إيران بعدم الذهاب إلى مكة، وذهبنا إلى مكة، نصحتنا إيران بعدم دخول الانتخابات، ودخلنا الانتخابات،

<sup>38</sup> المرجع نفسه.

نصحتنا إيران بعدم الدخول في الحكومة، ودخلنا بالحكومة، أخذت إيران موقفاً من الخليج غير الموقف الذي نحن عليه، أخذت إيران موقفاً من سورية غير الموقف الذي نحن عليه، مع كل هذه الاختلافات فضلت إيران استمرار العلاقة بيننا. بالرغم من أننا لم نتفق مع إيران لكن كانت العلاقة وستبقى لمصلحة الأمة، وليس للمصلحة الذاتية فقط، فعالم إسلامي منقسم لن يكون أبداً في صالح المسلمين ونحن لا نقسم المسلمين إلى سنة وشيعة في علاقاتنا المختلفة (...). نحن نريد إبقاء البوصلة باتجاه "إسرائيل"، نريد أن تدرك الأمة العربية والإسلامية عدوها الحقيقي "إسرائيل"، وأن تجتمع الأمة مرة أخرى على عداوتها، بعد ما أصبح السلام خياراً استراتيجياً عند البعض، فما أن تقوم "إسرائيل" بخطوتين صغيرتين إلا وتجد العلاقات قد نسجت، للأسف الشديد، فبعض الناس تعتقد أن علاقات "إسرائيل" محصورة فقط مع الأردن ومصر، لكن الحقيقة أن "إسرائيل" ذهبت إلى المغرب، وتونس، وقطر، وعمان، والإمارات، وكثير من هذه الدول التي لا تحب أن تُذكر في هذا المقام، وأقامت معها العديد من العلاقات والمصالح بعيداً عن الإعلام، غير أن التغيرات التي تحدث في المنطقة تُشير بأن قرار الدول سيتحول بيد الشعوب، وأن أمريكا بدأت تفقد السيطرة على توجيه الشعوب نحو مصالحها غير المنتهية، وهذا من أهم المتغيرات التي لا يدركها كثير من الناس.<sup>39</sup>

### علاقة حركة حماس مع الجزائر:

بالرغم من العلاقة الوطيدة التي تربط الشعب الجزائري بنظيره الفلسطيني؛ علاقة تُجسد وحدة الدم والقضية والمصير، وتستحضر ويلات الاحتلال التي ما زالت ترن في أذن أبناء الشعب الجزائري إلا أن العلاقة بين المؤسسة الرسمية للجزائر وحركة حماس لم تصل إلى المستوى المطلوب، وخصوصاً فيما يتعلق بالملف الفلسطيني، يقول د. أبو مرزوق:

<sup>39</sup> المرجع نفسه.

بالتأكيد زرنا الجزائر مرات عديدة إلا أنها لم تصل إلى علاقات رسمية بمؤسسات الدولة، ففي سنة 2000 التقينا بأعضاء الحزب الحاكم مرتين، وكان برفقتنا رئيس المكتب السياسي للحركة آنذاك الأستاذ خالد مشعل، والأخ إبراهيم غوشة، وخمسة آخرون، تبادلنا هموم الأوطان، وأوجاع الإنسان، إلا أن همهم من الزيارة كان مغايراً لهمومنا التي كُنّا نسعى إليها، كانوا يسعون للحصول على معلومات عن الناس الفاعلين في الساحة الجزائرية من الناحية العسكرية، من خلال استعراض بعض الأسماء التي لها علاقة بملفاتهم الأمنية، هذا ما كان يشغلهم بالدرجة الأولى، لكننا لم نكن نهتم لمثل هذه القضايا، ففضيحتهم ليست من القضايا الجوهرية التي تهمننا، كنا نريد أن نعمق علاقاتنا بالمؤسسات الرسمية التي تسمح لنا بالاتصال بالشعب، وهذه هي السياسة الأساسية التي كُنّا نتجه فيها بخصوص علاقاتنا مع الدول، فنحن نسعى نحو حسن العلاقة الرسمية وعمق العلاقة الشعبية؛ حتى تكون مرجعيتنا وعمقنا الحقيقي في الأمة، فهم الأساس وعليهم المرتكز بعد الله تعالى. حتى عندما كنا نأتي إلى مصر سواء وأنا في رئاسة المكتب السياسي، أم عندما كان الأخ أبو الوليد في رئاسة المكتب السياسي، كانت لنا زيارات عديدة إلى مصر الكنانة، وخصوصاً أن علاقتي مع أمن الدولة كانت جيدة أيضاً، في معظم الزيارات لم نجتمع بأي هيئة سياسية رسمية فقط المخابرات العامة، ولكن كنا نتصل بكل الهيئات الشعبية والمؤسسات المدنية، والنقابات العملية، وكان النظام لا يحول بيننا وبين الاتصال بالناس، وهذا كان شيئاً مهماً؛ لأننا نعرف أنفسنا بالحركة الشعبية، والأمة مرجعيتنا وعمقنا، وحماس بدون الأمة لا تستطيع فعل شيء.

ومن ناحية أخرى، فإن ارتباطنا بأي نظام يجعلنا رهينة له، وبذلك لا نستطيع فعل ما نريده، ونُصبح كالترمو متر إذا علت حرارة النظام لا بد أن تعلق حرارتنا، وإذا انتهى النظام ننتهي معه، مثل ما حصل مع بعض الذين ربطوا أنفسهم ببعض الأنظمة في المعسكر الشرقي، انهار المعسكر الشرقي فانهارت هذه التنظيمات، أو ما حصل في العراق، ذهب النظام الحاكم في العراق، فذهبت منظمة كجبهة التحرير الفلسطينية التابعة لأبو العباس. لذلك نحن نسعى إلى الارتباط

بالناس أكثر من الارتباط بالمؤسسات التابعة للأنظمة الحاكمة، وفي الوقت نفسه لا نخالف النظام، حيث إننا ندخل البيوت من أبوابها، فقد كان النظام المصري يرفض لقاءنا بالإخوان المسلمين، فكنا نلتزم برغبته.<sup>40</sup>

استطاعت حماس تكوين علاقات قوية مع مختلف التيارات والأحزاب الجزائرية، وعلى رأسهم جبهة التحرير الجزائرية وجماعة الإخوان المسلمين، التي بدأت بالتبلور من خلال نشاط الشيخ محفوظ النحناح، وبالرغم من الروابط الفكرية التي تجمع حركة حماس مع بعض الأحزاب إلا أنها حافظت على عدم التدخل في شؤون الدول العربية، يقول د. أبو مرزوق:

لما ضُرب التيار الإسلامي (جبهة الإنقاذ الإسلامي) الذي نشأ حديثاً ولم يكن مذكوراً في العالم الإسلامي تشتت في البلاد، ولما تشتت في البلاد تعرفنا حديثاً على أعضائه الفاعلين، أبرزهم كان أنور هدام تعرفنا عليه في أمريكا، وأحمد بلحاج وغيرهم. كان موقفنا في النهاية أن نبتعد عن قضايا الجزائر الخلافية ولا نتدخل في المشاكل الداخلية، هناك بعض الشباب الفاعلين في مجال الإعلام عندنا وقف موقفاً حاداً من محفوظ النحناح؛ لأنه اتخذ موقفاً حازماً من جبهة التحرير في صراعها مع الدولة، في النهاية كان هذا الموقف يعكس أفكار ومشاعر شخصية، ولا يُعبر عن موقف الحركة؛ لأن موقف الحركة كان دائماً يميل إلى موقف الأستاذ محفوظ النحناح، وشهادة للتاريخ لم يقف أحد وقفته في جلسة مجلس الأمن القومي الأمريكي حينما طالبهم بإطلاق سراحي من السجن الأمريكي، ومع ذلك لا نتدخل في الشؤون الداخلية لأي قطر من الأقطار العربية.<sup>41</sup>

بالرغم من إدراك حركة حماس لطبيعة المصلحة التي تتخذها بعض الدول العربية تجاه العلاقة التي تسعى لها، وبالرغم من مخاوف الدول العربية المعتادة من الإسلاميين، وخشيتها من نجاح نموذجها الذي قد يُؤثر سلباً على أنظمتها الحاكمة، إلا أن حماس لم تترك فرصة إلا وحاولت فيها كسب الدول العربية

<sup>40</sup> المرجع نفسه.

<sup>41</sup> المرجع نفسه.



نحو قضية فلسطين ومركزيتها العربية، وطمأنة عمقها العربي وعدم انجرافها لخطابات التنظيمات الإسلامية في تلك الدول، مما أفادها في الحوارات العربية، وتجلّى في دخول مصر والسعودية على خطوط الأزمات الفلسطينية للوصول إلى قواسم مشتركة.

يتضح مما سبق أن حركة حماس لا تنظر إلى مستقبل العلاقة مع الدول العربية بمنظار أسود، أو بعين المصلحة التي تنتهي في لحظة الحصول عليها، بل تنظر إليها بمنظار المصلحة التي تجمع ولا تُفرك، تُقوي ولا تُضعف. حماس تسعى إلى المصلحة التي تجمع الكل العربي ضدّ الاحتلال الصهيوني الذي لا يترك فرصة إلا وينهش في مصالح الأمة العربية والإسلامية.

## خامساً: الإسلامي والقومي على مائدة القدس:

”المسلم مطالب بحكم (سلامه) أن يعنى بكل شؤون (أمته)،  
ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم“

(حسن البنا)

أن تجمع شتات الأمة الإسلامية على مائدة القدس، والمسجد الأقصى المبارك، هدف مهم يحتاج إلى طاقات كبيرة، وجهود عظيمة من أجل إنجازه، وخصوصاً في وجود الانكفاء الذاتي الذي يُسيطر على معظم الدول الإسلامية؛ لما تُعانيه من تحديات داخلية، تفرض عليها أولويات مغايرة لمشكلات الأمة الإسلامية بشكل عام، وبالرغم من ذلك إلا أن أبو مرزوق طرّق هذا الباب مشاركاً ثلّة من إخوانه المعنيين، ونظموا مؤتمراً قومياً إسلامياً جامعاً لمعظم الأطياف الفاعلة في ميادين العمل والبناء.

يصف أبو مرزوق المشهد بقوله:

لا تستطيع أن تقول بأن حماس كانت المساهم الأكبر في إعداد المؤتمر؛ لأنه حظي بمساهمة جادة من الجميع، لم يستثن أحداً من بصمة المشاركة، لا التيار القومي

وتشعباته، ولا المذاهب على اختلافاتها، ولا التيارات الوطنية، ولا الإسلاميين على تشبثهم، لكن العنصر الأبرز في هذه التركيبة هو التيار القومي، وحماس؛ لذلك نحن والقوميون في المؤتمر من كان يُحدد من هو الرئيس لهذا التجمع، ودائماً كنا نتبادل هذه المهمة ما بين الإسلاميين والقوميين، وفي الغالب كان الاتفاق بيني وبين القوميين، وكنتُ أعبر في المؤتمر عن توجهات المكتب السياسي للحركة، سواء كان في مرحلة التسعينيات أم بعدها. أما بخصوص مؤتمر القدس، فقد اقترح الأستاذ خالد مشعل أثناء المؤتمر القومي الإسلامي أن يُعقد مؤتمراً للقدس، ثم يُحول المؤتمر إلى مؤسسة دائمة من خلال اللجنة التحضيرية؛ لأنَّ نشاط المؤتمر سنوي تنتهي آثاره بانتهاء أيام المؤتمر.<sup>42</sup>

كانت هذه الفكرة مزدوجة مع معن بشور، فقد كنا نتحدث كثيراً في مضامينها بشكل جانبي، حتى نثريها نُضجاً، ونُشبعها وضوحاً، وبعد أن استوت على سوقها قام معن بشور بدعمها بشكل أساسي، وعليه؛ فلا بأس أن تُنسب له الفكرة، المهم أننا حولنا المؤتمر إلى مؤسسة دائمة، وشكلنا لها مجلس أمناء من جميع أنحاء الأمة العربية والإسلامية، لم نترك بلداً إسلامياً إلا وجمعنا منه رموزاً سياسية واجتماعية، بغض النظر عن مذهبهم، وديانتهم أو مرجعياتهم الفكرية. المهم أن الذي كان يجمعهم حب القدس، والعمل الجاد على تحريرها، فأحضرنا شخصيات من بريطانيا وأمريكا وآسيا الوسطى والهند وباكستان ومن جميع الدول العربية، ومن بعض الدول الإفريقية كغانا ونيجيريا وجنوب إفريقيا، لم نترك بلداً إلا وقمنا بدعوة بعض زعمائه إلى مجلس الأمناء، الذي وصل تعداداه إلى 200 شخصية تقريباً، من هذا المستوى، ثم تحدثنا مع الشيخ يوسف القرضاوي، وضاغطنا عليه حتى يرأس مجلس الأمناء، فاستجاب لنا، ورشحنا له ثلاثة نواب، سني من اليمن، وكان الشيخ عبد الله الأحمر رئيس مجلس النواب في اليمن، ومسيحي من لبنان الأستاذ بشارة مرهج، وشيعي من إيران السيد علي أكبر محتشمي؛ وبالتالي جمعنا معظم مكونات الأمة التي تتنوع

<sup>42</sup> المرجع نفسه.

من العرب والعجم والسنة والشيعة، المسيحيين والمسلمين، ثم أضفنا جهة جديدة عندما تُوفي الأحمر، فقد جئنا برئيس برلمان أندونيسيا، بالتالي لم نجمع العرب والعجم فقط بل جئنا بالآسيويين لهذا المؤتمر. وتحولت اللجنة التحضيرية إلى اللجنة التأسيسية التي كنتُ رأسها، وكانت تضم شخصيات من كبار القوم، أمثال الشيخ فيصل مولوي، ومعن بشور، والأستاذ د. محمد سليم العوا، ود. بيان الحوشي، ورفعت النمر، وميشيل إده، والأب أنطوان ضو، وكانت تضم مسيحيين، وعدداً كبيراً من رموز الأمة ومفكريها الأفاضل، لقد كان مؤتمراً جامعاً لكل الأقطار الإسلامية.

وبعد أن نجحنا في تشكيل مجلس الأمناء الموسع، وعقدنا المؤتمر الأول، وتحولنا في هذا المؤتمر من لجنة تأسيسية إلى لجنة تحضيرية، أيضاً كنتُ رأس اللجنة التحضيرية في هذا المؤتمر، وبعدها ترأستُ اللجنة التنفيذية الأولى لمؤسسة القدس، وبعد أن استقرت الأمور ونضجت بالشكل العملي للقدس والمسجد الأقصى المبارك، تنازلتُ عن الرئاسة للشيخ فيصل مولوي رحمه الله فترأس اللجنة التنفيذية، وشغل د. أكرم العدلوني مديراً عاماً للمؤسسة بشكل مباشر. ومن الجدير ذكره في هذا المقام أننا كنا نريد أن نجمع كل العالم لمناصرة القدس وفلسطين وقضيتها العادلة، فحماس لم تكتفِ بوحدة الفصائل العشرة التي اجتمعت على كلمة المقاومة والتصدي لمشاريع الاحتلال الصهيوني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بل عملت على توحيد الأمة العربية والإسلامية حول القدس والمسجد الأقصى المبارك. ومن هنا أصبح لحماس علاقات واسعة، وحضور مميز في كل الميادين المتنوعة، وأصبح لحماس حجماً كبيراً نعزز به ونفتخر.<sup>43</sup>

منذ بداية التسعينيات حاول الكثير من قيادات حركة حماس جمع شتات الأمة حول ملف القدس غير أن حجم التحديات كان كبيراً، الأمر الذي دفع أبو مرزوق،

<sup>43</sup> المرجع نفسه.

وبتكليف من إخوانه في المكتب السياسي، للعودة مرةً أخرى لمسؤولية هذا الملف، والاهتمام به إلى أن استطاع من خلاله توحيد رموز الأمة الإسلامية من مختلف التيارات، وتأسيس مؤسسة القدس الدولية سنة 2002.<sup>44</sup>

إدراك أعضاء المكتب السياسي لحركة حماس عمق العلاقات الإسلامية التي تخدم قضية فلسطين المركزية، جعل لحماس قبولاً مميّزاً على المستوى الرسمي، وخصوصاً بعد فوزها في الانتخابات التشريعية سنة 2006؛ وكان من أبرز هذه الدول، الجمهورية التركية، التي رحبت بفوز حماس، وأعربت عن استعدادها التام للوساطة بين حركة حماس والاحتلال الصهيوني، للوصول إلى صيغة سياسية بينهما، وطالبت باحترام الفوز الذي حققته حماس، لأنه خيار الشعب الفلسطيني، وطالبت المجتمع الدولي بمنح فرصة لحماس.

وقد كشف رئيس الوزراء التركي السابق رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan اهتماماً كبيراً للقضية الفلسطينية، وذلك عندما صرّح عن مباحثاته الجادة مع الرئيس الباكستاني برويز مشرف Pervez Musharraf في 2006/1/27 حول مبادرة مشتركة يكون لمنظمة المؤتمر الإسلامي دور فيها، تنطوي على قيامهم بدور الوسيط بين الفلسطينيين و"إسرائيل"، وقال: "إن لب الاتصالات

<sup>44</sup> انعقد المؤتمر القومي الإسلامي الثالث في بيروت في 2000/10/21، وكان أبو مرزوق أحد مؤسسي هذا المؤتمر الجامع والمحقق لفكرة الجمع بين تاريخين مهمين في الأمة، هما البناء القومي والبناء الإسلامي. وانطلقت فكرة عقد مؤتمر القدس، والذي يعمل على إنقاذ مدينة القدس، بعد تفجر انتفاضة الأقصى في 2000/9/28، وتقرر في هذا المؤتمر تشكيل لجنة تحضيرية وتم تسمية د. موسى أبو مرزوق رئيساً للجنة، وكان في عضويتها الشيخ فيصل مولوي رحمه الله أمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان، والأستاذ معن بشور الأمين العام للمؤتمر القومي العربي، والدكتور محمد عمر الزبير، رئيس جامعة الملك فيصل في جدة، والدكتور محمد عويضة عضو المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في الأردن، والأستاذ حسن حدرج من قيادة حزب الله في لبنان ومسؤول الملف الفلسطيني. وخلصت اللجنة إلى مبادرة رائدة بتشكيل لجنة تأسيسية لإنشاء مؤسسة للقدس، وليس مؤتمراً يعقد ثم ينفذ، على أن تكون فكرة المؤسسة أنها مؤسسة جامعة، فقضية القدس ليست مسؤولية فلسطينية فحسب، بل هي مسؤولية عربية وإسلامية ومسؤولية أحرار العالم المؤمنين بالعدل ورفض الظلم.

والمبادرات تقوم على الشرح لحماس بأن سياسة عدم الاعتراف بإسرائيل لن تكون مساعدة في هذه العملية، وأن على إسرائيل ألا تقول إنها لن تعترف بنتائج الانتخابات أو بالحكومة التي ستشكلها حماس، “ واستدرك أردوغان: ”إن على الإخوة في حركة حماس أن يتركوا عاداتهم وتصرفاتهم في الماضي للماضي، وعليهم أن يدخلوا عالماً جديداً بنظرة جديدة، وذلك بعد أن أصبحوا عملياً طرفاً في حكم الدولة“، وقال ”في مثل هذه العملية إنني مقتنع بأن حركة حماس ستتحرك، ويجب أن تتحرك نحو الوسط، فالتطرف لن يُساعد في شيء، وهذا يُطبق على إسرائيل أيضاً“. ودعا إلى التمييز بين حماس بالأمس وحماس الآن، وشدد على ضرورة أن ”نسمح لهم ببعض الوقت لنرى ماذا سيفعلون“.<sup>45</sup>

وبعد هذه التصريحات لأردوغان دعت الحكومة التركية حركة حماس لزيارة أنقرة في 2006/2/16، وهذا يعني أن ثمة علاقة بينهما. يصف أبو مرزوق ذلك بقوله:

العلاقة مع تركيا دقيقة للغاية، فهي من أوائل الدول التي اعترفت بالكيان الصهيوني، وهي عضو في حلف شمال الأطلسي (الناطو) Organization Treaty Atlantic North (NATO)، وتسعى لتعزيز علاقتها بأوروبا عن طريق دخولها للسوق الأوروبية المشتركة والاتحاد الأوروبي (European Union (EU كشريك، ومنذ سنة 1928 وتركيا وجهتها الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً، وللأخيرة قواعد عسكرية مهمة في تركيا، ومع التغييرات التي حدثت في تركيا ديموقراطياً، فوز الرئيس أردوغان وحزبه، وفوز حركة حماس في الانتخابات الديموقراطية سنة 2006، وسياسة حزب العدالة والتنمية تعزيز العلاقات مع الشرق الأوسط، والاستمرار إلى جانب السعي لدخول الاتحاد الأوروبي، ومن هنا عند فوز حماس ديموقراطياً أعطى فرصة عند الحركة لتوسيع علاقاتها المتنوعة. كان التركيز على تركيا، وتوجهت دعوة من الحكومة التركية لزيارة تركيا عدة

<sup>45</sup> قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، تركيا والقضية الفلسطينية، سلسلة تقرير معلومات (17) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 39،

انظر: <https://www.alzaytouna.net/2011/12/07/null-11>

مرات، وتوجهت وفود كبيرة، ونحن نتفهم السياسة التركية وتاريخ علاقتهم بالغرب الذي يضع الحركة على قائمة "الإرهاب"، والكيان الصهيوني العدو المركزي لشعبنا وقضيتنا، ومن هنا كانت السياسة التركية بداية تبتعد عن أي توجه يُثير الغرب والكيان الصهيوني بقوة التيار القومي المتطرف، كانت ننصحنا بالاعتدال والاعتراف بما اعترفت به المنظمة، وحل الصراع بالطرق السلمية، وفي الوقت نفسه تواصلوا معنا وساعدونا، ورفضوا الحرب والظلم الواقع على الفلسطينيين، وخصوصاً مواقفهم من القدس والأقصى وحمايته وإعمارهم، وهم من أسهم في قرار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) United Nations Educational, Scientific and Cultrural Organization (UNESCO) لجانب القدس وحمايتها وهويتها كذلك. وكان اللقاء بالرئيس أردوغان لقاءً حميمياً، وساعدنا مساعدة كبيرة، ووجه منظماته الخيرية والصحية للوقوف معنا. ولكن للأتراك حدود في التعامل معنا كونهم جزء من حلف الناتو، وهناك حجم من العلاقات مع الكيان الصهيوني، وهي في الوقت الحاضر موقفها السياسي إلى جانب حقنا الفلسطيني في الأمم المتحدة وفي مختلف المحافل الدولية، وموقفها المعادية للسياسة الصهيونية أصبحت معروفة، كما أنها تستقبل آلاف الطلاب والجرحى والأسرى المبعدين من الفلسطينيين في تركيا. والآن الشارع التركي بدأ يتحول بشكل كبير تأييداً للحق الفلسطيني، وما فعله الأتراك من جهد لكسر الحصار في غزة، وأبرز أحداثه سفينة مرمرة، حيث استشهد 7 من الأتراك على ظهر السفينة وهي في طريقها لغزة، كما أن هناك عشرات المؤسسات الفلسطينية التي اتخذت تركيا مقراً لها.

ولعل انفتاح الحركة المؤقت والطارئ على محمد دحلان أزعج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان كثيراً، ولكن تم تجاوز هذه المشكلة في العلاقات الثنائية، حتى جاءت رسالته رسالة من رئيس الحركة الأخ إسماعيل هنية تدعوه للتوسط بيننا وبين السلطة، وأعطيناها ورقة حل اللجنة الإدارية في قطاع غزة، وخاطب الرئيس أردوغان محمود عباس، ووافق الأخير على الجلوس مع حماس والحوار معها مستنداً إلى ما تم ذكره من إمكانية حل اللجنة الإدارية مباشرة. وفي الأسبوع نفسه تمت زيارة لوفد الحركة برئاسة هنية، وإعطاء الشيء نفسه للوزير خالد فوزي

مدير دائرة المخابرات المصرية، مما أثار الرئيس أردوغان كثيراً، ومنذ ذلك الوقت لم يلتق الرئيس أردوغان بأي وفد للحركة، كما أن معظم المساعدات التي كانت تُقدم لقطاع غزة أوقفت، وكانت هذه أكبر عقبة في وجه العلاقات التي لم تتأثر بما تم من سياسات أو إجراءات مع بقية الوزارات كالمخابرات، والصحة، والتعليم، والداخلية، وما زالت الساحة التركية ساحة مهمة للحركة خارج فلسطين.

أما عن علاقة حركة حماس بماليزيا فقد بدأ تواصل حركة حماس مع دولة ماليزيا مبكراً، حيث كانت ماليزيا أحد أهم الداعمين للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وحافظ الراحل ياسر عرفات رحمه الله على صلات جيدة برئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد Mahathir Mohamad الذي استمر في دعمه لمنظمة التحرير وياسر عرفات رحمه الله طوال فترة حكمه.

في مطلع التسعينيات نسجت حركة حماس خطوط اتصال بالقوى السياسية والاجتماعية الماليزية، وخصوصاً بالحزب الإسلامي الماليزي (باس) Malaysian Islamic Party (PAS)، وحركة الشباب الإسلامي الماليزي (أبيم) Malaysian Islamic Youth Movement (ABIM) التي كان يرأسها في الماضي نائب رئيس الوزراء السابق أنور إبراهيم. كما أن تياراً كبيراً من الإسلاميين الماليزيين خالطوا إخوانهم من بقية الدول العربية في مصر والعراق والسعودية وأوروبا وأمريكا بما فيهم أنور إبراهيم نفسه، حيث كان جزءاً من اتحاد الطلبة المسلمين، وناشطاً أساسياً في الحزب الإسلامي، وعنصراً أساسياً في حركة الشباب أيضاً.

في التسعينيات، قامت قيادة حماس بزيارات عدة لماليزيا، بهدف حضور مؤتمرات الحزب الإسلامي (باس) وللقاء المسؤولين الماليزيين، حيث زرت مع رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل ماليزيا سنة 1997، والتقينا بنائب رئيس الوزراء أنور إبراهيم، وبعيادات الحزب الإسلامي الماليزي (باس)، كما زار ماليزيا وفوداً أخرى من قيادة حماس، منها زيارة الشيخ سعيد صيام وأسامة حمدان وآخرين.

وبعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية تصاعد التواصل بين حماس وماليزيا، حيث ازدادت خطوط التواصل مع الأحزاب والمنظمات السياسية

والمجتمعية في البلاد، وتوجت بعد فوز حماس في انتخابات 2006 بزيارة وفد كبير من حماس إلى ماليزيا؛ والتقوا برئيس الوزراء حينها عبد الله بدوي Abdullah Badawi في بوتراجايا، واستمرت الزيارة لأيام عدة، تطور التواصل بعد ذلك وبدأت العلاقة تنتقل بشكل أسرع لمستويات أعلى خصوصاً بعد حرب غزة 2008/2009 وما ترتب عليها من تصاعد للدعم الشعبي الماليزي لغزة والحركة.

(انتهى كلام د. أبو مرزوق)

### مرحلة العلاقة الوثيقة:

في منتصف سنة 2010 بدأت العلاقة بين (حماس) والحكومة الماليزية بالانتقال لمرحلة جديدة، حيث تم إطلاق مؤسسات فلسطينية عدة في ماليزيا بعضها برعاية د. مهاتير محمد، رئيس الوزراء السابق حينها، ود. أحمد زاهد حميدي Ahmad Zahid Hamidi، وزير الدفاع ثم نائب رئيس الوزراء حتى سنة 2018، واستمرت العلاقة في التطور منذ ذلك الحين.

وشهد العقد التالي تتابعاً لزيارات قيادة الحركة إلى ماليزيا خصوصاً، لحضور مؤتمرات الحزب الحاكم حينها حزب المنظمة القومية الملايوية المتحدة (أمنو) United Malays National Organisation (UMNO)، حيث كانت قيادة حماس برئاسة الأستاذ خالد مشعل ضيوف الشرف في مؤتمر حزب أمنو سنة 2013.

واستمرت مشاركة الحركة في مؤتمرات الحزب في السنوات التالية، حيث شارك رئيس الحركة مجدداً في مؤتمر حزب أمنو سنة 2015 مع وفد موسع من قيادة حماس ضمّ د. موسى أبو مرزوق ومحمد نزال وآخرين، كما كان د. مهاتير محمد ود. موسى أبو مرزوق ضيوف شرف في مؤتمر القاهرة لدعم المقاومة الفلسطينية وإدانة العدوان على غزة.

وكانت زيارة رئيس الوزراء الماليزي السابق محمد نجيب بن عبد الرزاق Mohammad Najib Abdul Razak لقطاع غزة المحاصر مطلع سنة 2013 ولقاؤه برئيس الوزراء إسماعيل هنية نقلة نوعية في العلاقة بين ماليزيا وحماس، حيث جاءت في وقت تواجه فيه الحركة حصاراً دولياً غير مسبوق.



وعلى مدى العقد السابق، حافظت حماس على علاقات وثيقة بجميع الأحزاب السياسية الماليزية، وأهم منظمات المجتمع المدني الماليزي التي استمرت بدعم الشعب الفلسطيني على كل المستويات.

### موقف الحكومة الحالية من القضية الفلسطينية:

يعتبر موقف الدولة من القضية الفلسطينية ثابتاً من ثوابتها بغض النظر عن اختلاف الحكومات، ويظهر ذلك على صعيد سياستها الداخلية عبر إتاحتها المجال لمنظمات المجتمع المدني لحشد الدعم المطلوب للقضية الفلسطينية مادياً وإعلامياً ومعنوياً، وعلى مستوى سياستها الخارجية عبر تصريحاتها الرسمية الداعمة للقضية في المحافل الدولية، ويمثل خطاب رئيس الوزراء الماليزي د. مهاتير محمد في الأمم المتحدة مؤشراً على هذا الموقف، حيث أفرد ثلث الخطاب للحديث عن معاناة الشعب الفلسطيني وضرورة استعادته لحقوقه.<sup>46</sup>

أما بخصوص علاقة حركة حماس بجنوب إفريقيا فقد مرت بمحطات مختلفة، كما بين د. موسى أبو مرزوق في إجابته عن السؤال الذي وجهه الكاتب له في هذا الإطار، أهمها ما يلي:

### التواجد بالمراحل الأولى 1995-2003:

بدأت محاولات الانفتاح على جنوب إفريقيا وزيارتها ومحاولة الاستقرار فيها مبكراً، من خلال لجنة في السودان لهذا الغرض والتابعة للدائرة السياسية سنة 1995 برئاسة د. موسى أبو مرزوق، وتم فتح مؤسسة للعمل الخيري (مؤسسة الأقصى) سنة 1997، ثم تأسيس مركز دراسات شرق أوسطي سنة 1998.

في تلك الفترة كنا نتواصل من خلال مؤسسة القدس مع مولانا إحسان هندركس Moulana Ihsaan Hendricks والشيخ إبراهيم جبرائيل Ibrahim Gebrail ومرشد ديفيز؛ هؤلاء كانوا مدخلنا إلى الجالية المسلمة. أما الحزب الحاكم والخارجية فكان الأخ محمد دانغور Mohammed Dangor ولورنس، المسؤول

<sup>46</sup> مراسلة للكاتب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/أكتوبر 2018.

الأمني في سفارة عمّان، وكان لورنس يتنقل ما بين عمّان ورام الله، حيث شهدت تلك الفترة محاولة استقدام الشيخ أحمد ياسين رحمه الله لزيارة البلد في جولته الشهرية بعد الإفراج عنه، غير أن الأمر فشل بساعاته الأخيرة بسبب تدخل عرفات حينها، ومعظم هذه المسألة كانت في عمّان حيث وجود د. موسى واتصاله بالملحق الأمني السيد لورنس.

في تلك المرحلة كان هناك علاقة لكنها على مستوى ديبلوماسيين وليس بمستوى رفيع من قيادات الدولة أو الحزب الحاكم، وكانت في غالبها في عمّان ثم في دمشق، وأدارها مندوبي جهاز الأمن في السفارات الإقليمية والسفراء، حيث كان محمد دانغور سفيراً في دمشق وسفيراً في بيروت غير مقيم.

العمل الخيري كان فاعلاً بحضور الأخ الموكل، وتنسيقه مع الأخ عصام يوسف وآخرين منذ ذلك الحين، وبالرغم من محاولات الاستثمار للعمل في البلد حينها لكن المحاولات لم تتكلل بالنجاح.

### مرحلة رفع مستوى العلاقة 2003-2014:

كانت الوفود الجنوب إفريقية تزور دمشق، خصوصاً الشعبية منها ولقيادات الجالية المسلمة، لكن في المقابل كانت محاولة تحقيق زيارة لوفد سياسي رفيع من الحركة مستمرة وفقاً للظروف السياسية، أبرزها كانت محاولة سنة 2009 حيث تمّ إلغاء الزيارة لقيادة الحركة قبل يومين من موعدها بسبب تسرب الخبر والتهديد الأمني الذي تمّ تقديره من قبل جهاز الأمن في جنوب إفريقيا.

توّجت هذه المرحلة بزيارة نائب رئيس جنوب إفريقيا خاليمّا موتلانتي Kgalema Motlanthe إلى دمشق ولقائه برئيس المكتب السياسي لحركة حماس الأستاذ خالد مشعل، وهذا كان أرفع لقاء بين الطرفين تمّ في تاريخ العلاقة، وجرى ترتيبها بعد فشل محاولة زيارة وفدنا في سنة 2009. وفي هذه الزيارة عقد نائب الرئيس مؤتمراً صحفياً مع الأخ أبي الوليد حظي بتغطية كبيرة وعكس حميمية العلاقة بين الطرفين.

كما زار جنوب إفريقيا إخوة سياسيون بصفة رسمية في هذه المرحلة مرتين، الأخ أبو البراء محمد نزال والأخ أسامة حمدان.

## مرحلة مأسسة العلاقة 2014-2019:

في تلك المرحلة، وسعت حركة حماس عمل العلاقات الدولية لديها، فكان لكل منطقة فريق عمل، ولأنّ العمل أخذ بالتركيز على الدول ذات الأولوية، بدأ العمل في إفريقيا من خلال الدول ذات التأثير، وكانت جنوب إفريقيا على رأسها.

من الجانب الجنوب إفريقي تشكلت لجنة من الرئاسة في سنة 2014 لبحث أسباب تراجع حركة فتح عن النضال، وخيارات تعامل الدولة مع الشركاء الفلسطينيين. قام رئيس مكتب العلاقات الدولية حينها الأخ أبو عيادة محمد صوالحة بقاء تلك اللجنة مرتين، وتم ترتيب لقاءات لهم أسهمت في فهمهم للواقع الفلسطيني الذي تغيرت فيه بوصلة النضال لدى فتح، حتى اتخذت اللجنة توصية بالانفتاح على حركة حماس كونها تقود النضال الفلسطيني، وتحمل خطّ التحرر من الاستعمار والعنصرية الإسرائيلية.

بين سنتي 2014 و2015 كان هناك ثلاث زيارات رسمية لها بهدف إنجاز ترتيبات زيارة وفد للحركة برئاسة الأخ أبي الوليد ود. موسى أبو مرزوق والأخ أبو عيادة مسؤول العلاقات الدولية لتكون رافعة للعلاقة. وتمت الزيارة بفضل الله في تشرين الأول/أكتوبر 2015، والتقت فيها قيادة الحركة مع قيادة الحزب والدولة برئاسة الرئيس جاكوب زوما Jacob Zuma حينها. وكان استقبالاً حافلاً في مدينتي كيب تاون وبريتوريا، امتازت بحماسة قيادة الحزب للحركة، ونتج عنها المخرجات الآتية:

1. توقيع مذكرة تعاون بين الحركة والحزب الحاكم تعتبر الأولى من نوعها مع فصيل فلسطيني.

2. تلبية الحزب في فتح حوار استراتيجي بينه وبين الجالية المسلمة في كيب تاون لزيادة دعمه فيها انتخابياً من قبل المسلمين بتلك المحافظة التي خسروا فيها 15 عاماً مضت.

3. تبني الحزب لوجود الحركة رسمياً داخل البلد، كانت البداية بشكل مكتب رسمي للحركة لكن تحت الضغط العربي والسلطة تراجعوا للخيار الذي طرحناه عليهم ابتداءً، وهو العمل تحت لافتة مؤسسة تمثل الحركة في البلد.

4. فتح علاقة مباشرة مع قيادة الحزب وصناع القرار في الدولة تمّ توظيفه في مناسبات عدة لاحقاً.

5. توصية الحركة لدولة قطر بالانفتاح على جنوب إفريقيا، وتلبية أمير قطر للطلب المكتوب من الأخ أبي الوليد بدعوة الرئيس زوما في آذار/ مارس 2016 إلى الدوحة، ورفع مستوى الاستثمارات القطرية في البلد في سنة 2017 عدة أضعاف.

في هذه المرحلة، تمّ الانفتاح على مفاصل التأثير السياسي والأمني في الدولة بشكل رسمي، أحزاباً ونقابات عمال وبرلمان ووزارات الأمن والخارجية والداخلية.

وعليه، تمّ زيادة حضورنا في البلد وتشكيل فرق عمل لنا فيها؛ فتم تأسيس مؤسسة تمثلنا تحت اسم أفروبال Afropal وتسجيلها رسمياً في الدولة، ولنا فريق سياسي يساعدنا في التحرك داخل الدولة، وفريق إعلامي يتبع المؤسسة ويشن حملات إعلامية داعمة لروايتنا، ويؤثر في الصهاينة بشكل باتوا يشكون منه علانية في إعلامهم.

كما بات لنا فريق ينشط مع حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (بي دي أس) The Boycott, Divestment, Sanctions (BDS) ولجان الدعم الشعبية مقيم في البلد، نوجهها للضغط سياسياً لصالح أهداف معينة نرغب بتحقيقها، أو ممارسة ضغط على الحكومة من خلالهم في قرارات ترتبط بالقضية الفلسطينية أو الكيان الصهيوني.

تعاوننا مع العمل الخيري منذ سنة 2016 لإعادة الأخرى المفرغ لهم إلى الساحة وتفعيل وجودهم بالبلد، وبات حضورهم أكثر فعالية ولهم أخوان هناك.

نجحنا في جنوب إفريقيا في تحقيق عدد من الإنجازات، أبرزها ما يلي:

1. اتخاذ قرار في المؤتمر العام للحزب الحاكم في كانون الأول/ ديسمبر 2017، الذي

حضره وفد رسمي من الحركة لأول مرة بتاريخه، بتخفيض مستوى العلاقة

الديبلوماسية مع "إسرائيل" إلى مكتب تمثيل، وهو جهد ضغط سياسي مباشر وغير مباشر مع مفاصل سياسية وشعبية داخل الحزب وخارجه وحملات إعلامية استمرت نحو تسعة أشهر.

2. القيام بحملة ضغط على نحو عشر دول إفريقية لمنع حضورها مؤتمر توغو Togo Conference (إفريقيا - "إسرائيل")، حيث تم التنسيق معهم في الخطوات المشتركة والمطلوبة لمنع قيامه، وكان لهم جولات وجهد سياسي مقدّر.

3. امتناع الحزب الحاكم عن حضور اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في نيسان/أبريل 2018 والتي كانت محل جدل، حيث التقى الأخ مسؤول إفريقيا بكبار المسؤولين في جنوب إفريقيا للضغط عليهم لعدم الحضور، وقد اتخذوا قراراً بذلك وأبلغونا به رسمياً.

4. البدء بمسار نقل التجربة النضالية الجنوب إفريقية إلى الفلسطينيين، حيث اتفقنا مع مستشار الرئيس ومساعد وزيرة الخارجية على ذلك، وبناءً عليه عُقد مؤتمر في بيروت، تبعه لقاء فصائل فلسطينية في كيب تاون مطلع سنة 2016، ثم لقاء آخر بعد عام لمتابعة محاولات بلورة رؤية فلسطينية مشتركة للخروج من الحالة الفلسطينية القائمة والاستمرار في النضال بشكل متحد. هذه اللقاءات سيتم استكمالها بناءً على تفاهم مع القيادة السياسية الجديدة للحزب تمّ قبل شهر، وهم أبلغونا أنهم يفضلون إدارة الملف الفلسطيني من خلال علاقتهم بنا وليس مع الأطراف الأخرى.

5. الضغط على المجموعة الإفريقية في الجمعية العامة للأمم المتحدة General Assembly of the United Nations لمنع تمرير قرار يدين الحركة عرض عليها في كانون الأول/ديسمبر 2018، وبالتنسيق مع الجانب الجنوب إفريقي أبلغونا أنهم أمّنوا تصويت 17 دولة إفريقية بهذا الخصوص، إلى جانب عدد من دول أمريكا اللاتينية.

(انتهى كلام د. أبو مرزوق)

## سادساً: إيران، وسورية، وحزب الله وجدلية العلاقة:

لم يكن موقف حماس تجاه علاقتها مع إيران، وسورية، وحزب الله موضع تساؤل، قبل أحداث الربيع العربي سنة 2011، فقد كانت في أحسن أحوالها مع الرئيس السوري بشار الأسد، والسيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، وكانت إيران تُمثل القوة الجامعة بين هذه الأطراف التي تلهج بمقاومة "إسرائيل" المتغترسة.

في تموز/ يوليو 2006، خاض حزب الله حرباً ضدّ الاحتلال الصهيوني رفعت من رصيده الشعبي لدى الشارع العربي وحقق صفقة تبادل في 2008/7/16 أفرج على إثرها عن أربعة أسرى لبنانيين على رأسهم الأسير سمير قنطار، ومثتين من رُفات الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين.

وفي العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة أواخر 2008 وبدايات 2009، صمدت المقاومة الفلسطينية أمام حمم بركانية من النيران المدفعية، وردعت القوات الصهيونية بالرغم من مقدراتها المحدودة، وأفشلت "إسرائيل" في تحقيق أهدافها التي أعلنتها على منابر الإعلام كافة، وهي إسقاط حكم حماس، واستعادة الجندي الأسير جلعاد شاليط، والقضاء على منظومة الصواريخ لدى المقاومة الفلسطينية. بلا شك انعكس هذا الصمود على الشارع العربي ثقة بالنفس، وإيماناً بالحق، وأملاً بالحرية التي قد تنطلق بعد عقود من الغياب القسري.

لم يهتم الشارع العربي للاختلاف المذهبي بين حماس ومحور المقاومة الذي يجمع إيران وسورية وحزب الله، إذ كانت فرحته بضرب "إسرائيل" تتجاوز الاختلافات الطائفية، لقد نجحت فلسطين في توحيد الناس على مائدة الحق الذي يقبل الاختلاف ولا يرضى بسلب الحقوق، وظلم الآخرين.

### 1. العلاقة مع إيران:

في نهاية الثمانينيات، وعبر لقاءٍ سري، بدأت أول لقاءات حركة حماس بإيران، حيث سعت الأخيرة لإقامة علاقة رسمية مع حركة حماس عبر مندوبين من وزارة الخارجية الإيرانية، وعن هذا اللقاء يقول أبو مرزوق:

في أواخر الثمانينيات جاء اثنان من وزارة الخارجية الإيرانية، كلٌ منهم برتبة مدير عام، الأول اسمه محمد علي محمدي والثاني اسمه علي زاده، التقيتُ بهما في أحد فنادق دبي، وكان برفقتي الشيخ أبو إياس خليل القوقا رحمه الله. كان الحديث يدور حول توطيد علاقة حماس بإيران، وآليات تطويرها، وفقاً للمصالح التي تجمع الطرفين على مائدة مقارعة الاحتلال الصهيوني من أجل تحرير فلسطين.

وفي نهاية الحوار قلتُ لعلي زاده الذي كان يرأس الوفد الإيراني: نحن الآن حركة ناشئة لم تظهر بالشكل الكبير على الساحات المختلفة، وعلاقاتنا ما زالت علاقات وليدة وليست عميقة، ونحن جميعاً نحمل قضية مقدسة، ولا يجوز أن تكون قضية القدس المقدسة قضية ذيلية، بحيث يُحرك هذا الذيل ذاك الرأس أينما ذهب، كثير من المنظمات في الوقت الحاضر منظمات إما صنعناها سورية أو العراق أو طرفٌ آخر، نحن نريد أن نقوى، ويزداد نفوذنا، ونفتح علاقات مع الآخرين بإرادتنا، ولا نريد أن نكون حركة ذيلية.

### بداية العلاقة مع جميع الأطراف:

إبان الغزو العراقي للكويت تعمقت علاقة حركة حماس بالمملكة العربية السعودية بشكل جيد، عندها فتحت حركة حماس الباب لإقامة علاقة صداقة مع الجمهورية الإيرانية، على أساس أن الحركة لديها علاقات متوازنة مع كل الدول، التي تقتضي عدم التدخل في العلاقات البينية. ولأن إيران مؤيدة للقضية الفلسطينية، عرضت حركة حماس على إيران بدء العلاقات بينهما بناءً على ما تمّ ذكره من أساس سنة 1991، وافقوا على ذلك، وبعدها كان لهم مواقف جيدة تجاه المبعدين الفلسطينيين جنوب لبنان؛ فقد أرسلوا أحد الشباب ويُدعى رمضان ليقم في مخيم اليرموك مع المبعدين، وكانوا يقدموا بعض المساعدات اللوجيستية كغيرهم من المساعدين، ومع مرور الوقت أصبحوا يقدموا مساعدات من نوع آخر مثل التدريب وازدادت العلاقة عمقاً. وقد كان للأخ المهندس عماد العلمي دورٌ مهم في تطوير هذه العلاقة، وذلك بعد أن انتُدب سفيراً للحركة في إيران سنتي 1990-1991، هكذا تطورت علاقة حماس بإيران.

سياسة الحركة، الانفتاح على كل القوى على اختلاف عقائدهم، ومذاهبهم، وأعرافهم، وأجناسهم، وكافة القوى، على اختلاف توجهاتها، باستثناء الكيان الصهيوني، وسياسة الحركة الثابتة أن لا حوار أو اتفاق أو التقاء مع العدو الصهيوني.

وأنّ معيار العلاقات مع هذه الدول والقوى مبني على قاعدة قربها من القضية الفلسطينية وتأييدها للمقاومة، ودعمها للشعب الفلسطيني ومقاومته، والأمر الآخر هو عدم التدخل في الشأن الداخلي للحركة، كما أن الحركة لا تتدخل في الشأن الداخلي لأي من هذه الدول والحركات. ونحن في حاجة لتأييد ودعم كل هؤلاء، ومدى التأييد والدعم يدل على مستوى العلاقة وعمقها.

علاقتنا معها [إيران] لا يعني تطابقاً في السياسة، وقد اختلفنا مع بعض سياساتهم، كما اعترضوا على بعض سياساتنا؛ وعلى سبيل المثال الموقف من سورية لم يكن متطابقاً معهم، وكذلك لم يكونوا مع دخولنا في انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006. واستمرت العلاقة مع كل هذه الاختلافات، ولم يتدخلوا في أيّ شأن من شؤون الحركة على مدار العلاقة في يوم من الأيام.

نحن معنيون أن نفتح على كل أطراف المنطقة بلا استثناء؛ لأن البوصلة السياسية لكل المنطقة يجب أن تكون فلسطين والقدس، وما دما نريد التركيز على قضيتنا فلا نستطيع استثناء أحد في خدمة القضية.<sup>47</sup>

نريد أن نركز المواجهة ضدّ العدو الصهيوني، كل ما يجري في المنطقة من تباينات داخلية أو بين الأقطار ظاهرة سلبية يجب أن تزول، وأعتقد أنها تزول بالسياسة، ولا تزول بمعارك طاحنة بين الأطراف، لأنه انتحار ذاتي لن ينجح أي طرف في هذه المواجهات؛ وبالتالي هذه دعوة صادقة للحل السياسي، حتى نخرج من هذه الأزمات بطريقة حضارية، وليس بالحروب، لأن الجميع خاسر والعدو الصهيوني هو المستفيد الأساسي.<sup>48</sup>

<sup>47</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، ص 512.

<sup>48</sup> مقابلة أجرتها ليلى الشايب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، التلفزيون العربي، "حديث خاص"، 2017/2/13. (بتصرف)



نحن حياديون في علاقاتنا المتنوعة، وهذا ما ترجمته مواقفنا المختلفة تجاه قضايا عدة أبرزها ما يتعلق بمواقفنا التي قد يُتوهم منها التناقض، أو التنكر لجميل وُدِّ صدر من جهة معينة، غير أنها المعايير الناظمة للعلاقات الحمساوية التي تستلزم فهماً موضوعياً أكثر من النظرة السطحية. فنحن ضدّ أن تستضيف أي دولة عربية قواعد أجنبية، ضدّ العلاقات مع "إسرائيل"، لكنني لا أستطيع أن أحاسب الدول على سياستها، وسأشكرها إذا وقفت معي.

أعلن رئيس الوزراء القطري عن دعمه لسياسة تبادل الأراضي، فأعلننا عن رفضنا لهذا الموقف، وهذا يدل على حيادية الحركة في التعامل مع الأطراف كافة.

سياستنا ضد النزاع السني الشيعي؛ لأننا إذا تفرغنا للصراع ضد بعضنا البعض سندخل في معارك لا نهاية لها، ولكن علينا أن نتوحد من أجل القضية، وعليه فإننا مع فلسطين وكل من يقف مع فلسطين نحن معه.

أيضاً وقفنا ضدّ سياسات أمريكا ضدّ إيران الرامية إلى جعل الأخيرة عدواً للمنطقة العربية السنية، وكذلك نحن ضدّ أي نزاع أو صراع مذهبي.<sup>49</sup>

(انتهى كلام د. أبو مرزوق)

## 2. العلاقة مع سورية:

"لا يمكن مقارنة سورية بأي دولة أخرى، سورية حاضنة الثورة الفلسطينية الكبرى منذ سنة 1936، سورية احتضنت من كان يقود العمل الثوري داخل فلسطين، ولا أعتبر سورية فلان أو فلان، سورية هي الشعب والتاريخ"،<sup>50</sup> هذه هي منطلقات أبو مرزوق في موقفه تجاه سورية ومواقفها المشرفة عبر التاريخ، وتجاه سورية منذ الأزمة السورية التي اشتعلت في 2011/3/15.

وعليه؛ فإن المتتبع لتصريحات د. موسى أبو مرزوق يجد أن قمع مظاهرة لا تتحمله منهجية الحركة في التعامل مع أبناء شعبها سواء في غزة أم دمشق، وأنه

<sup>49</sup> مقابلة أجراها طوني خليفة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الجزء الثاني، قناة القاهرة والناس، "أجرأ كلام"، 2013/5/19.

<sup>50</sup> المرجع نفسه.

ضدّ أيّ عدوان صهيوني ضدّ سورية أو غيرها، وأنه مع الشعب السوري بكل مكوناته، وما يحمله من تطلعات الرفعة والحرية والديموقراطية، وأنّ حماس ليست ضدّ النظام السوري الذي احتضنها، وأعطاهما كما لم يُعْطها نظام قط، لكنها ضدّ أي سياسة قمعية.

بالتأكيد لم يُنكر أبو مرزوق علاقة حركته المميزة مع النظام السوري، وأنه الأفضل في احتضان حركة حماس، لكن اختلافهم في الأزمة السورية يكمن في تفضيل حركة حماس الحل السياسي على الحل الأمني، لذلك فإنه دائم التأكيد على قوله: ”كل ما في الموضوع أنه طُلب منا تأييد النظام في الحل الأمني، فرفضنا، فمن وقف معنا في الحق لا يمكن أن نقف معه في الباطل، نحن ضدّ أي تدخل خارجي في الأزمة السورية ولو بالكلام“.<sup>51</sup>

وقد بلور أبو مرزوق جملة من التأكيدات الزمانية والمكانية التي تعكس رؤية حركة حماس تجاه الأزمة السورية بما يلي من النقاط:

أ. سورية والرئيس بشار وقفا مع الحركة في كل مواقفها ومنعطفاتها ومقاومتها، العلاقة معنا كانت متميزة عن معظم الدول، وامتدّية في أحيانٍ كثيرة الدول الكبرى، حينما كانت تضغط لطردها أو إقفال مكاتبنا.

ب. لم يتدخل النظام السوري في شؤوننا الداخلية، ولم نعلم أنه تجاوز ذلك في أيّ مرحلة، ولم يطلب منا طوال فترة العلاقة أيّ طلب على الإطلاق.

ج. احترمت الحركة هذه العلاقة، واعترفنا بجميل النظام وحسن تعاونه، وميّزناه عن غيره من الأقطار تقديراً منا للنظام وقيادته.

د. عند بدء الأحداث الداخلية، طلب منا النظام تحديد موقف، فحددنا موقفنا الذي قَبِلَهُ في نيسان/ أبريل 2011، وكان منسجماً مع سياساتنا في عدم التدخل، وقدّرنا فيه دعم النظام ومساندته لنا، ووقفنا مع الشعب السوري في تطلعاته وحقوقه؛ وبالمناسبة كان النظام يكرر هذه العبارة دون ملل.

<sup>51</sup> مقابلة أجراها طوني خليفة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الجزء الأول، قناة القاهرة والناس، ”أجرأ كلام“، 2013/5/15.

هـ. حاولنا التوسط بالخير بين النظام والمعارضين، بناء على اقتراح من السيد حسن نصر الله، وبموافقة من الرئيس بشار، وما إن بدأنا بالتحرك حتى تمّ إيقافنا بطلب من الرئيس نفسه، نَقَلَهُ لنا اللواء المملوك.

و. بقيت الحركة حتى تشرين الثاني/ نوفمبر في سورية، دون اتخاذ أيّ توجه أو قرار بالخروج وترك سورية العزيزة، حتى كان الاقتراح من قِبَل النظام باللقاء مع الرئيس السوري بشار الأسد والفصائل الفلسطينية جميعها وحزب الله، فاقترحنا لقاءً فلسطينياً مع الرئيس منفرداً، ولقاءً آخر لبنانياً، حتى لا يعطي اللقاء انطباعاً سلبياً عند أحد.

ز. رفض النظام الاقتراح وتمّ إلغاء اللقاء بالكامل، وكان المحاور في كل ذلك الأستاذ خالد مشعل رئيس المكتب السياسي السابق لحماس.

ح. طلب منا تحديد موقف الحركة إما مع أو ضدّ، ولم يقبل منا موقف الحياد فيما يجري في سورية، وكان موقفنا بعدما تبنى النظام الحل العسكري رفض هذه السياسة، ونصحناه باستخدام الحل السياسي وعدم إقحام الأمن والجيش فيما يجري، وكان هذا الأمر مقبولاً لا سيّما أن الرئيس بشار لم يكن موضع خلاف بين جميع القوى تقريباً في الأشهر الأولى للثورة.

ط. ثم طُلب منا لقاء الرئيس بشكل منفرد وحاولنا الاعتذار عن اللقاء بطرق مختلفة، لمقتضيات اللقاء المقترح من إعطاء صورة أن الحركة إلى جانب النظام في سياساته، وحددنا موقفنا بهذا الخصوص، فلم يكن لدينا خيار؛ إما الانحياز في الموقف ولقاء الرئيس، وإما الاعتذار والمغادرة انحيازاً لسياستنا بعدم التدخل في الشأن السوري، وتجنبياً لمخيماتنا الفلسطينية من كل عوامل الصراع على الساحة السورية.

ي. قرّر المكتب السياسي المغادرة، وليس المقاطعة، وأبقي عضو مكتب سياسي هو الأخ عزت الرشق، ومسؤول الساحة في الحركة جمال عيسى، وغادر بقية أعضاء المكتب السياسي وكوادر الحركة من غير الفلسطينيين السوريين، وأعلنا أن السبب هو عدم قدرة القيادة على إدارة الشأن الداخلي والخارجي للحركة بسبب الأحداث الجارية في سورية، وكان هذا سبباً صحيحاً أيضاً.

ك. عند مغادرتنا لم نُسئ للنظام، وذكرنا حسن صنيعه السابق، ولكننا انحرنا لسياسات الحركة ومبادئها في الوقوف إلى جانب الشعوب وتطلعاتها، وعدم تدخلنا في شؤون أي بلد.

ل. في الحقيقة الضرر الأكبر فيما جرى وقع على الحركة، بانتشار قياداتها وعناصرها، واضطراب العلاقة مع تيارات وقوى عدة في الأمة.

م. لم تتخذ الحركة أي قرار أو توجه أو تفكير في المشاركة بالنزاع في سورية، وكل ما قيل عن عناصر من الحركة سمّت أنفسها بأسماء، أو استشهد البعض في الميدان، أو أننا قمنا بتدريب الثوار على حفر الأنفاق وزرع الألغام، كل هذا ليس له أي أساس من الصحة على الإطلاق؛ فمن ادعى أنه من حماس مقاتلاً لم يكن صادقاً، ومن قاتل وله تاريخ مع حماس فقد تركها، ولم يعد عنصراً فيها، وذهب إلى حيث قناعاته، التي لم يكن لنا يدٌ فيها. واقتصر عمل حماس في مخيمات سورية على العمل الإنساني الإغاثي والخدماتي، وإن كان من بين هؤلاء الكثير من المعتقلين والشهداء.

ن. الفلسطينيون لا يمكن أن ينفردوا في قضيتهم ولا في نضالهم بدون وقوف العرب والمسلمين معهم، فهم العمق والسند، ولقد اعتبروها قضيتهم المركزية وقدموا آلاف الشهداء، ومهما كانت الأحوال والأقوال لا يمكن الاستغناء عن سورية ومصر وكل محيط فلسطين أساساً، ففي بلادهم عاش شعبنا، وكان شعبهم حاضنة الثورة عبر التاريخ، ولا يمكن أن تسقط سورية من فكرنا أو واقعنا، بل هو ظرف مؤقت اتخذناه لانحيازنا الاستراتيجي لسياساتنا بعدم التدخل في شؤون الآخرين، وهذا من أجل مستقبل قضيتنا.<sup>52</sup>

### 3. العلاقة مع حزب الله:

يقول أبو مرزوق:

علاقة حزب الله بالفصائل الفلسطينية قديمة، فالثورة الفلسطينية في لبنان هي من سمحت للحزب بالعمل العسكري ضد الاحتلال، وأخذت بيده نحو التدريب

<sup>52</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، ص 512-514.

والتطوير. ولأن الملف الفلسطيني موضوع أساسي بعد انسحاب الاحتلال الصهيوني من الجنوب اللبناني فقد تعزز الملف الفلسطيني أهمية عند الحزب، بالإضافة إلى أن القضية الفلسطينية تمنحه الشرعية التي تمكنه من الاحتفاظ بالسلاح في ظل إطار قانوني للدولة، لذا أصبح من الضروري أن يُعزز علاقاته بفصائل المقاومة الفلسطينية، وأصبح يتحدث عن القدس، وتحرير فلسطين، وموقفه من العدو الصهيوني، وأصبح يتحدث عن ضرورة الاحتفاظ بسلاح المقاومة قوياً عزيزاً من أجل تحرير فلسطين، وبات يبحث عن سبل توسيع جبهة المقاومة بحيث تجمع فصائل أخرى غير الفصائل اللبنانية.

ولأن معظم تشكيلات الحزب كانت من حركة فتح، التي كانت تعمل في جنوب لبنان، فقد ظلت علاقته بالوضع الفلسطيني علاقة متينة للغاية، بل إن أبرز قادته كانت على علاقة بالفصائل الفلسطينية تدريباً وعلماً وتمويلًا وتنظيمًا. كانت تجمعهم علاقة بحركة فتح وبمنظمة التحرير لكن العلاقة بفتح كانت أعمق، فهي التي فتحت معسكرات للحرس الثوري قديماً وللحزب حديثاً، أو للعناصر التي كانت تسكن في المناطق الجنوبية، فلم يكن هناك حزب بعد، وهي مناطق شيعية بالضرورة، وبالتالي كانت علاقة الحزب بكل الفصائل الفلسطينية أكثر من ممتازة، ولم تكن احتياجات الفصائل من الحزب كبيرة؛ فالتسليح والتدريب والتجنيد تقوم به الفصائل الفلسطينية، الذي كان ينقصها فقط المال، وحزب الله لم يكن ممولاً لهذه الفصائل؛ لذلك كانت الفصائل تبحث عن مصادر تمويل مختلفة.<sup>53</sup>

لا بدّ لنا أن نعرف ما هي القاعدة التي يجب أن نتبعها في تكوين العلاقات والتحالفات، لا بدّ أن نعرف أن فلسطين قضية جامعة، بمعنى لا يوجد حزب سياسي ولا توجه ديني عربي الجذور إلا والقضية الفلسطينية هي الأهم في أولوياته، فهي القضية المركزية؛ بالتالي إذا أراد الناس أن يتعاملوا معك فلا بدّ أن تجد شيئاً مشتركاً يجمع بين الأفكار المختلفة، فالاختلاف فطرة طبيعية في

<sup>53</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

حياة الناس، مما يُوجب علينا أن نستخدم أجمل الألفاظ وأحسنها في التعبير عن وجهة النظر التي نتبناها، يجب أن نجعل جميع ألفاظنا جامعة لكل الذي يتعلق حول القضية الفلسطينية التي تُمثل الجميع، وهذا ما استثمرناه في التسعينيات عندما شكلنا المؤتمر القومي الإسلامي الأول، فقد جمعنا بين الفرقاء واختلافاتهم تحت مظلة فلسطين.<sup>54</sup>

وعليه فإن علاقة حماس بحزب الله هي علاقة نضال وجهاد ضدّ المشروع الصهيوني، ولعل الانتصارات في المعارك التي خاضها الحزب والحركة، كانت منارة في تاريخ العرب والمسلمين، في مواجهة قوة طاغية ظالمة متجبرة مدعومة من القوة الأكبر في العالم. ونعمل لتعزيز المقاومة معاً على كافة المستويات الإعلامية والسياسية من أجل خدمة المقاومة، ولقاءاتنا مستمرة معهم، وكان هناك تفهمٌ لمواقفنا بالنسبة للشأن السوري، ولكن بعد خروجنا بفترة، شاب العلاقة بعض الخلل، وظهر الخلاف حول التعاطي مع الشأن السوري والمشاركة في القتال. وعلى كل حال، تمّ تلطيف الأجواء وتمهيد الطرق لعلاقة سلمية مستأنفة، وسنبقى حريصين على علاقاتنا حتى ولو اختلفنا في مسألة ما.<sup>55</sup>

كانت العلاقة السياسية بين حماس وحزب الله أقوى من الجانب العسكري، فالذي يمتلكه الحزب عسكرياً كانت حماس تمتلكه إلى حدّ كبير، لأن إيران هي مصدر الدعم المالي والعسكري لهم كما أنها مصدر دعم مالي وعسكري لنا، وبالتالي لم يوجد بين حماس وحزب الله علاقة مالية.

بعض الناس يظن أن علاقة حماس بحزب الله علاقة الوسيط لإيران، وهذا غير صحيح، فقد ذكرنا كيف بدأت علاقات حماس بإيران، فعلاقتنا كانت مباشرة، ولم تكن بحاجة إلى وسيط. أعتقد أن علاقة حماس مع إيران بالطبع ليست بقوة علاقة حزب الله مع إيران، فحاجة إيران للعلاقة مع الحزب في لبنان أكبر كثيراً من

<sup>54</sup> المرجع نفسه.

<sup>55</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، ص 514.

حاجة إيران للعلاقة مع حماس في فلسطين. وفي النهاية، لم تكن العلاقات بالرغم من قوتها واستمرار التواصل بيننا وبينهم والتشاور والاستعداد المتبادل لخدمة الآخر، كما يعتقد البعض.<sup>56</sup>

(انتهى كلام د. أبو مرزوق)

هذه الفلسفة الفكرية التي ينطلق منها أبو مرزوق في علاقاته مع الآخرين تعكس وعياً سياسياً ووطنياً وأخلاقياً تجاه قضية فلسطين المقدسة، فاللغة الجامعة بين البشر أصبحت عملة غير متوفرة في ظلّ الصراع المحتدم بين مستويات العالم من أجل المصلحة الذاتية التي يعتقد أصحابها أنها الأجدى في تحقيق الانتصار. إن أبو مرزوق يحمل قضية تحتاج إلى حُسن تفكير من أجل الإنسانية التي تسعى إلى الحرية والديموقراطية، لكنه يؤكد على نقطة أهم من طريقة التفكير، وهي طريقة التعبير التي ستوصلنا إلى تحقيق أهداف القضية المقدسة، إنها الطريقة التي تدفعك نحو انتقاء الألفاظ، وتقبل الاختلاف، والعمل في المساحات المشتركة.

## سابعاً: العلاقات الدولية:

”في السياسة ليس هناك عرو ولائم أو صديق ولائم هناك  
صالح ولائمة“

(ونستون تشرشل)

يقول د. موسى أبو مرزوق:

حماس منفتحة في علاقاتها الدولية واتصالاتها الدائمة مع معظم الدول الغربية، وعلاقتها الآسيوية والإفريقية وبعض دول أمريكا اللاتينية لا بأس بها؛ وذلك لأن الجانب الأساسي مع هذه الدول هو الجانب السياسي المتعلق بالصراع مع الكيان الصهيوني وقضية اللاجئين الفلسطينيين.

<sup>56</sup> مقابلة مركز التاريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

العلاقات مع الدول الغربية غير المنضوية تحت الاتحاد الأوروبي علنية، وهناك لقاءات دورية، واتصالات مستمرة، وكثيراً ما كان انعكاسها جيداً على الشعب الفلسطيني، خصوصاً من زاوية تفهمهم للصراع وأدواته، ومصصلحة الشعب الفلسطيني واحتياجاته. أما دول الاتحاد الأوروبي، فمذ وضعت الحركة على قائمة المنظمات الداعمة لـ "الإرهاب"، والاتصالات مع أغلبهم تُجرى عبر أكاديميين وديبلوماسيين متقاعدين ومراكز دراسات ومستشارين قرييين من مراكز صنع القرار، المشكلة أن وضع اسم على قوائم "الإرهاب" أمر لا صعوبة فيه، أما رفعه منها فهو مشكلة كبيرة، وذلك لأن القرار، يؤخذ بالإجماع؛ وهذا المعوق الرئيس أمام علاقات الآخرين مع حركة حماس.<sup>57</sup>

على كل حال هذا التصنيف السياسي يفرضه القوي، كما يصفه أبو مرزوق، ويتعامل معه الآخرون، وهو تصنيف سياسي غير عادل، فانظر إلى حزب العمال الكردستاني (*Partiya Karkerên Kurdistan Workers' Party*) في العراق يعدونه منذ نشأته حزباً يسعى للحرية ويعدون حزب العمال التركي (*Emek Partisi—EMEP*)، وهو الحزب نفسه لكنه الشق التركي، حزباً "إرهابياً". انظر إلى منظمة التحرير، حتى اللحظة لم ترفع الولايات المتحدة اسمها عند التعامل معها من "الإرهاب"، ولذلك تجدد التصريح لوجودها كل ستة شهور، نيلسون مانديلا ترك الرئاسة واسمه كان ما يزال مصنفاً باعتباره "إرهابياً".<sup>58</sup>

وقد تمثلت علاقات حركة حماس الدولية بثلاث جهات رئيسية؛ الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى في العالم، ومن ثم دولة روسيا الاتحادية، وأخيراً الاتحاد الأوروبي المتذبذب اتباعاً لمصالحه المختلفة.

## 1. علاقة حماس مع الولايات المتحدة الأمريكية:

حتى 1995/7/5 كانت الولايات المتحدة الأمريكية في تصور أبو مرزوق الدولة الديمقراطية التي وصلت إلى قمة النظم السياسية، لقد رسم لها صورة وردية

<sup>57</sup> مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، 2018/11/23.

<sup>58</sup> موسى أبو مرزوق، "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، ص 515.



لعدالتها الداخلية، غير أن هذه الصورة تكسرت على أعتاب مطار نيويورك الدولي، حين وُضعت الأصفاد الحديدية في يديه أمام زوجته وأولاده دون سابق إنذار أو تهمة محددة.

شعر أبو مرزوق بظلم الولايات المتحدة وحقيقتها غير الديمقراطية حين نُجِّ به في زنزانه مساحتها 2x1.5 متر، بها حمام لقضاء الحاجة، دون السماح له بمقابلة أحد سوى دخول الطعام من شبك حديدي يبلغ مساحته 45x30 سم، بالإضافة إلى دخول بعض الكتب والجرائد اليومية. ولكن طريقة التفتيش في أثناء الدخول والخروج دفعته أن يُعرض عن الخروج لساعة التشميس احتجاجاً على ذلك.

احتجز أبو مرزوق 22 شهراً دون تهمة في سجن احتوى على 1,360 سجين تقريباً، جميعهم من ذوي البشرة غير البيضاء عدا جورج هاري، وهذا يدل على عنصرية أمريكا التي تدعي العدالة والمساواة كما يقول أبو مرزوق. خلال مدة سجنه طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من "إسرائيل" بإرسال طلب تسليم أبو مرزوق لها كـ "إرهابي" مطلوب لها، وافقت "إسرائيل" على ذلك في البداية، وبعد الانتخابات الإسرائيلية، التي أفرزت نتنياهو رئيساً للوزراء، رفض استلام أبو مرزوق لاعتبارات أمنية، وبناء على ذلك تم الإفراج عن أبو مرزوق، ولكن ضمن مجموعة من الشروط التي لا مفرّ منها إلا بالقبول والالتزام؛ أبرزها التنازل عن الإقامة الدائمة في أمريكا (بطاقة جرين كارد Green Card)، وعدم دخول الولايات المتحدة أو المرور بأجوائها، ولا يُسمح لأولاد أبو مرزوق رفع قضية على الولايات المتحدة.<sup>59</sup>

وقد سألت مجلة فلسطين المسلمة أبو مرزوق في أثناء احتجازه في سجن نيويورك عن رأيه تجاه اعتقاد البعض بأنه قد أفرط في حسن الظن بالولايات المتحدة، حين غامر بالقدوم إليها، "فهل كنت تهدف من وراء هذه المغامرة معاودة الاتصال مع الإدارة الأمريكية بأمل التوصل إلى مبادرة سياسية تصبح من خلالها حركة حماس لاعباً سياسياً في عملية التسوية؟"، فأجاب:

<sup>59</sup> مقابلة أجرتها جيزال خوري مع الدكتور موسى أبو مرزوق، قناة بي بي سي، "المشهد"، 2014/4/10.

لم يكن هناك اتصالات بالإدارة الأمريكية وإن كانت سياسة الحركة هي الحوار مع الجميع، ولم تُغلق الحركة باب الحوار، وفي عهد إدارة الرئيس كلينتون [بيل كلينتون Bill Clinton] اختلفت السياسة الأمريكية في المنطقة، وأصبحت الإدارة السياسية الإسرائيلية هي النافذة، ودور الإدارة الأمريكية هو تبني السياسة الإسرائيلية. وراجع إن شئت قرار الكونجرس [Congress] الخاص بالقدس، وإغلاق المناطق، وضرب لبنان، وتبني الإدارة الأمريكية لذلك كله. إن قدومي لم يكن مغامرة بل كان في نظري قراراً عادياً، حيث إنني أحمل الإقامة الدائمة، ولم أخالف القانون الأمريكي، وقد كنت زرت الولايات المتحدة قبل فترة وجيزة من قدومي الأخير في نيسان / أبريل من العام نفسه.

العلاقات لا تنشأ من خلال رغبة طرف واحد، إلا إذا كانت اعتداءً أو عدواناً، فقد يقرها طرف برضى أو غير رضى الطرف الآخر، والولايات المتحدة كدولة عظمى موجودة محلياً وإقليمياً في مختلف دول العالم ومناطقه وكذا في الشرق الأوسط، وأعتقد أن الشعب الفلسطيني لا يطلب أكثر من العدل والإنصاف والحرية، وأن يقرر مصيره على أرضه، وإن كنت لا أتوقع أن يكون لمثل هذا الكلام صدق في أمريكا لظروف خاصة بتركيبة السياسة الأمريكية، وهيمنة اللوبي الصهيوني على كثير من اتجاهات هذه السياسة، وخاصة ما يتعلق منها بمنطقة الشرق الأوسط.<sup>60</sup>

بالرغم من تجربة السجن الأليمة إلا أن أبو مرزوق لا يتبنى فكرة القطيعة مع أي دولة في العالم طالما أنها تصب في مصلحة الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وهذا ما أكد عليه في حوار أجري معه حول علاقة حركته مع الولايات المتحدة الأمريكية، فقال:

إن كل الاتصالات الأمريكية معنا كانت بطلب من أمريكا، فهم الذين كانوا يتصلون بنا، وهم أيضاً الذين كانوا يقطعون هذا الاتصال، بالتأكيد كان هناك اتصالات بيننا وبينهم في ثلاث مناسبات ومواقف؛ عندما كنا في عمان وهم الذين قطعوا الاتصالات، ثم صار لقاءً في دمشق، وبعد أحداث 11 أيلول / سبتمبر كان

<sup>60</sup> حوار الدكتور أحمد يوسف مع الدكتور موسى أبو مرزوق من سجنه في نيويورك، مجلة فلسطين المسلمة، بيروت، أيار/مايو 1996، ص 14.

هناك لقاء وهم الذين قطعوا الاتصالات... موقفنا في هذا الشأن واضح، وهو قبول الاتصالات مع أي طرف ما عدا الصهاينة، وليس عندنا سياسة تحفظية فيما يتعلق باللقاءات مع الأوروبيين أو الأمريكيين أو غيرهم، لشرح قضية شعبنا والدفاع عن حقوقه. ولكن إذا كانت دولة ما لا ترغب في الحوار فهذا شأنها، والولايات المتحدة حرة في سياستها، وأن تفعل ما تشاء، لكنها لن تفرض على الشعب الفلسطيني في أي حوار ما لا يحقق حريته وأهدافه.

أما عن هدف أمريكا من الحوار مع حماس في فقد ذكر أبو مرزوق "أن أمريكا سعت إلى معرفة الأوجه الفعّالة التي يمكن من خلالها أن يتعاملوا مع حركة حماس، وأن ينجحوا في وضع الخطط والبرامج التي تُفضي إلى تطويع حركة حماس وسياستها تجاه الكيان الإسرائيلي".<sup>61</sup>

لا شك أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه حركة حماس ينطلق من اعتبارات إسرائيلية بحتة، الأمر الذي لا يجعلنا في حيرة كبيرة عندما نقف على دوافع أمريكا في تصنيف حركة حماس بـ"الإرهاب" دون أن تتحاور معها بشكل جدي، أو تتفاهم معها حول نقاط الاختلاف. لقد ترك هذا التصنيف آثاراً سلبية على علاقة حركة حماس بأمريكا والدول التي تلتزم بسياسات الولايات المتحدة الخارجية مثل كندا واليابان، اللتان لم تُبديا أي اهتمام في فهم حركة حماس وطبيعة الفكر الذي تنطلق منه في مقاومة الاحتلال الصهيوني، فقط التزمنا الموقف الأمريكي منذ سنة 1995.<sup>62</sup>

أما على الصعيد المحلي فقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاً كبيرة على السلطة الفلسطينية في شباط/فبراير 2002 من أجل إغلاق مؤسسات خيرية، وتجميد أرصدة بنكية، تابعة لحركة حماس، مدعية أنها تصب في مصلحة "جهات إرهابية".

<sup>61</sup> المركز الفلسطيني للحوار 2006، بتصرف.

<sup>62</sup> انظر: أسامة حمدان، "العلاقات الدولية لحركة حماس"، في محسن محمد صالح (محرر)، حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 545.

إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحفاظ على الأمن الإسرائيلي باعتباره خط الدفاع الأول عن المصالح الغربية؛ وعليه فالتهديد المباشر من قبل حركة حماس وضعها في دائرة الأخطار التي تهدد حليفها الاستراتيجية "إسرائيل".

ف"إسرائيل" لديها مجموعة ضغط فائقة الفاعلية والتنظيم، هي لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك)<sup>63</sup> American Israel Public Affairs Committee (AIPAC) تم "إسرائيل" بنفوذ واسع في السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط. وهيات هذه العلاقة لـ "إسرائيل" فرصة لا نظير لها للحصول على أحدث أنظمة الأسلحة والتكنولوجيا، وهذا ما حصل طيلة السنوات الماضية؛ لضمان تفوق "إسرائيل" عسكرياً وتكنولوجياً في الشرق الأوسط.<sup>64</sup>

أما فيما يتعلق بفوز حركة حماس في انتخابات 2006، فقد أخرج الولايات المتحدة الأمريكية أمام ما تدعيه من ديموقراطية خلّاقة، واحترام صناديق الاقتراع وإفرازاته التي تخرج برقابة تضمن نزاهة الانتخابات، وتُعزز من روح التداول السلمي للسلطة؛ إذ كيف لحركة مقاومة فلسطينية مصنفة على لائحة "الإرهاب" منذ سنة 1995 تُحقق فوزاً كبيراً، وتُحدث زلزالاً شديداً التأثير على منطقة مقهورة على المستويات كافة.

<sup>63</sup> تأسست اللجنة الأمريكية الصهيونية للشؤون العامة AZCPA في 1954/3/22، وقد أعيدت تسمية هذه المنظمة لاحقاً بلجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) AIPAC، وذلك في سنة 1959، وأنيطت بها مهمة تنسيق وإدارة الأعمال العامة بالنيابة عن الحركة الصهيونية الأمريكية، والتأثير في العلاقة مع السلطات الحكومية، بغية المحافظة على الصداقة المتعززة وحسن النوايا بين الولايات المتحدة و"إسرائيل". وأيباك هي الهيئة الوحيد الموجودة في أمريكا والمسجلة لدى الكونجرس لممارسة الضغط والدعاية في ميدان العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية.

<sup>64</sup> انظر: وليام سيمبسون، الأمير: القصة السرية للأمير الأكثر إثارة للاهتمام في العالم الأمير بندر بن سلطان، ترجمة عمر سعيد الأيوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص 65.

يصف أبو مرزوق الموقف بقوله:

بالطبع نتج عن هذا التصنيف حرج لهم بعد فوز حماس في الانتخابات أوائل سنة 2006، ولكن الغرب مع ذلك انحاز للولايات المتحدة، في التوافق على وضع ثلاثة شروط للتعامل مع حماس بعد فوزها في الانتخابات، وهي:

1. الاعتراف بالكيان الصهيوني.
2. نبذ العنف.
3. الاعتراف بالاتفاقيات التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية.

أي على الرغم من اعترافهم أن هناك مناطق محتلة، والشرعية الدولية تبيح لمن احتلت أرضه أن يقاوم هذا الاحتلال، إلا أنهم يعدّونه عنفاً، و"إسرائيل" لم تتعامل مع أيّ اتفاقية تمّ التوقيع عليها بشفافية ومصداقية، حتى حولت جميع الاتفاقيات إلى مجرد أوراق لا قيمة لها، والتواريخ لا وزن لها، ومع ذلك يطالبون الفلسطينيين بالاعتراف بالاتفاقيات التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية. وأخيراً، هل لهم أن يطالبوا بالاعتراف بالكيان؟ أليس الأجدر أن يعترف الكيان الصهيوني بالفلسطينيين وحقوقهم قبل مطالبة المظلومين بالاعتراف بالظالم؟ الذي اغتصب أرضهم وديارهم وطردهم إلى مخيمات ما زالت شاهدةً على ظلم الاحتلال وجبروته؟<sup>65</sup>

هذا الاحتواء الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية تجاه فوز حركة حماس سنة 2006 تُرجم بجملة من الإجراءات التي تدفع الأخيرة نحو الإفشال أو الاستسلام، أبرز هذه المعوقات ما يلي:

أولاً: الحصار السياسي الشامل، منذ سنة 2006 حتى اليوم.

ثانياً: قطع المساعدات المالية للحكومة التي تُشكلها حماس، بينما يُسمح بتمويل السلطة الفلسطينية عندما تقودها جهة مثل فتح.

<sup>65</sup> مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، 2018/11/23.

ثالثاً: تعزيز الانقسام الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس من خلال الابتزاز المالي والضغط السياسي على مؤسسات السلطة الفلسطينية؛ من أجل إبقاء حماس خارج المؤسسة الفلسطينية الرسمية.

هذه الاعتبارات للإدارة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية تُوجت بقرار دونالد ترامب Donald Trump الأخير الذي انحاز فيه إلى دولة الاحتلال الصهيوني انحيازاً تاماً، متناسياً بذلك وساطته التي تفرض عليه أن يقف على الحياد، وأن يحترم الاتفاقيات المسبقة على الأقل، إلا أنه أوفى بما وعد به خلال حملته الانتخابية، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس المحتلة في ظروف إقليمية ومحلية متردية، وهذا ما توقعه أبو مرزوق من شخص ترامب وفريقه المنحاز إلى "إسرائيل" غير الشرعية قبل نقل السفارة.

يقول أبو مرزوق:

لعل بعض ما قاله ترامب في مرحلة الترشح والمنافسة بدأ بتطبيقه، كالجدار بين أمريكا والمكسيك، أو إجراءات متعلقة بالمسلمين من أقطار إسلامية، وزاد في غباء القرار عندما استثنى من هذه الأقطار من يعتنق الديانة اليهودية والمسيحية، بمعنى أنه ركز على عنصريته. الفريق الذي شكله هو ليس صديقاً للفلسطينيين، في معظمه عدوانيٌّ تجاه الموضوع الفلسطيني، ويوجد عدة قضايا مطروحة على أجندة السياسة، بعضها كان سيئاً في الأداء، مثل إدانة الكونجرس الأمريكي في ثوبه الجديد قرار الأمم المتحدة، وهذا غير مسبوق؛ فما دخل الكونجرس أن يدين قرار الأمم المتحدة في الاستيطان. في موضوع نقل السفارة حدث بعض التأجيل. أعتقد أن هناك عدداً من الزيارات من زعماء العرب، ملك الأردن عبد الله زاره، وسيزوره السيسي ونتنياهو وولي عهد المملكة العربية السعودية. أعتقد أن موضوع نقل السفارة سيكون مطروحاً على الأجندة، وإن كنت لا أتوقع أي تغيير في تلك النوايا.<sup>66</sup>

<sup>66</sup> مقابلة أجرتها ليلي الشايب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، التلفزيون العربي، "حديث خاص"، 2017/2/13. (بتصرف). هذا اللقاء كان قبل نقل السفارة الأمريكية إلى مدينة القدس في 2018/5/14.

فعلاً نُقلت السفارة الأمريكية إلى القدس المحتلة في 2018/5/14، بينما كان الاحتلال الصهيوني يُوغل في دماء الأطفال والنساء والرجال الذين احتشدوا سلمياً عند المناطق الفاصلة لقطاع غزة رفضاً لنقل السفارة، ومطالبة برفع الحصار عن قطاع غزة الذي زاد عن 12 عاماً. نُقلت السفارة الأمريكية وسط احتفال كبير من الوفد الأمريكي برئاسة نجلة الرئيس الأمريكي إيفانكا ترامب Ivanka Trump، بينما كانت قنافة الاحتلال الصهيوني قد قتلت أكثر من 70 متظاهراً سلمياً، وجرحت أكثر من 1,500 متظاهراً بينهم الكثير من الحالات الخطرة.

## 2. علاقة حماس مع روسيا الاتحادية:

يقول د. موسى أبو مرزوق: ”إن حركة حماس لا تجد فرصة إلا وتحاول الدفع من خلالها لبيان الحق الفلسطيني وشرعيته، مع عدم إنكارنا لجهود القوى الفلسطينية الأخرى، وخصوصاً القوى الشبابية، والحقوقية، واليسارية، التي تنشط بشكل إيجابي في الدول الغربية، وقد حققت الكثير من التقدم في مساندة القضية الفلسطينية“<sup>67</sup>.

بالرغم من العداء القديم بين الإسلاميين وروسيا الاتحادية إلا أن الأخيرة لم تُوافق الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي في موقفها تجاه حركة حماس، فسياستها الخارجية لم تُصنف حماس بـ”الإرهاب“، وهذا لا يعني بالضرورة أنها تدعم حماس في توجهاتها، فروسيا تدرك اللعبة السياسية التي تحقّق المصالح الاستراتيجية، وتعكس الرسائل المرحلية، من خلال التحالفات المختلفة.

وعلى ضوء هذا الموقف فقد شكّل فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية سنة 2006 فرصة لإعادة ترميم مصالح روسيا شبه الميتة في منطقة الشرق الأوسط، لذلك انفتحت الدبلوماسية الروسية باتجاه الملف الفلسطيني بشكل عام، ودعت حركة حماس لزيارة موسكو في شهر آذار/ مارس 2006؛ أي بعد فوز حماس بشهر ونصف تقريباً، الأمر الذي عرّض روسيا لاتهامات التعامل مع

<sup>67</sup> موسى أبو مرزوق، ”حماس: قراءة وتقييم للتجربة“، ص 516.

منظمة "إرهابية"، مما دفعها لمواجهة تلك الاتهامات من خلال التأكيد على شرعية حماس كممثل منتخب عن الشعب الفلسطيني، وأنها ستتعامل معها وفق معطيات الرباعية الدولية، وستدعوها إلى نبذ العنف والاعتراف بـ "دولة إسرائيل"، وذلك بوصفها عضواً في الرباعية الدولية.

لقد سعت روسيا من خلال موقفها تجاه حركة حماس إلى تغيير صورتها لدى الإسلاميين الذين تشبعوا بالعداوة المطلقة لروسيا وأفعالها الشنيعة ضد المسلمين في أفغانستان وغيرها من الدول الإسلامية، وأرادت أيضاً أن توصل رسائل خاصة إلى خصمها السياسي المتفرد بقرارات منطقة الشرق الأوسط، وأن تثبت للعالم أنّ لها دوراً مستقلاً تجاه القضايا الدولية بعيداً عن الهيمنة الأمريكية.

مهما تكن نوايا روسيا الاتحادية تجاه ترحيبها بحركة حماس بعد فوزها في الانتخابات التشريعية إلا أنّ زيارة حماس لموسكو شكّلت فرصة جديدة لحركة حماس حتى تُعبّر عن آرائها، وتشرح مواقفها، وتسدّد ظهرها على جهة دولية ذات وزن ومناهضة للولايات المتحدة الأمريكية التي ترفض التعامل معها؛ لانحيازها الكامل لـ "دولة إسرائيل".

وعليه؛ فقد شارك أبو مرزوق وفداً من حركته لزيارة روسيا برئاسة الأستاذ خالد مشعل، من أجل دراسة الورقة الروسية التي تضمنت التزام حركة حماس بالحل السياسي الذي يقوم على قرارات الشرعية الدولية، ورفض العنف، وتجنب استهداف المدنيين على طرفي الصراع، "وقد أكد ألكسندر كالوجين [Alexander Kalugin] على أنّ الاعتراف بإسرائيل، والتخلي عن العنف، وتنفيذ الاتفاقيات الموقعة هي الغايات التي تبتغي الأسرة الدولية بلوغها، وقال هذه هي الاتجاهات التي ستناقش في موسكو، ولكن لا أحد يعرف مدى استعداد حركة حماس للتقدم في هذه الاتجاهات"<sup>68</sup>.

<sup>68</sup> بلال الشوبكي، "سياسة روسيا الخارجية تجاه القضية الفلسطينية"، مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، 2008، العدد 34-35، ص 51.



يقول أبو مرزوق :

في أول زيارة لنا لروسيا الاتحادية ركز وزير الخارجية في حواراته معنا على ضرورة دخولنا في منظمة التحرير، وأن نتعامل بإيجابية مع أطروحاتها التي تدعو إلى السلام في المنطقة، في المقابل أبعاد نفسه عن القضايا المتعلقة بحصار قطاع غزة، وشروط الرباعية الدولية. وأكد على أن حماس حركة منتخبة من الشعب الفلسطيني، وأنها حصلت على الأغلبية الواضحة في انتخابات سنة 2006، كما رفضوا تضمين حماس على قائمة "الإرهاب"؛ لأنها معتدلة في أفكارها، ومنفتحة في علاقاتها. أما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية بشكل عام فإن روسيا تؤمن بالحق الفلسطيني القائم على حلّ الدولتين، وأن القدس الشرقية عاصمة دولة فلسطين، وأن حركتي حماس وفتح أكثر القوى الفلسطينية تأثيراً في الشارع الفلسطيني.<sup>69</sup>

كما ترأس أبو مرزوق وفداً حماسياً لزيارة روسيا في 2009/5/23، حيث التقى الوفد الحمساوي بوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف Sergei Lavrov الذي أكد على أهمية التواصل مع حماس، وأن روسيا تجد نفسها محقة في قرار إقامة علاقة معها؛ لأنها تمثل وجهة نظر غالبية الشعب الفلسطيني، ووعد بممارسة الضغوط على الحكومة الإسرائيلية لوقف مخططات الاستيطان ورفع الحصار عن قطاع غزة".<sup>70</sup>

يقول أبو مرزوق :

أعتقد أن زيارة حماس لموسكو سنة 2009 كانت من أهم الزيارات التي حدثت هناك؛ لأنها جمعت الفصائل الفلسطينية من أجل المصالحة، حيث تحدث الروس عن المصالحة وأهميتها في قوة الموقف الفلسطيني، وعبروا عن دعمهم للشراكة الفلسطينية، ورفضهم التام لممارسات الحكومة الإسرائيلية في ملف الاستيطان وحصار غزة، ومن جملة الحديث ذكر المتحدث باسم الروس أن الرئيس

<sup>69</sup> مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، 2018/11/23.

<sup>70</sup> وسام أبي عيسى، الموقف الروسي تجاه حركة حماس 2006-2010 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2011)، ص 32.

محمود عباس ضعيف سياسياً؛ لأنه لا يُمثل جميع الفلسطينيين. كنتُ في ذلك اللقاء رئيساً لوفد الفصائل ومتحدثاً باسمهم، فقاطعتُه وقلت له: بالعكس السيد محمود عباس هو رئيس منظمة التحرير، وحركة فتح، والسلطة الفلسطينية، وبالتالي هو يُعبر عن الفلسطينيين عموماً، وأنَّ هذه الادعاءات ما هي إلا افتراءات إسرائيلية من أجل إضعاف الموقف الفلسطيني الرسمي!! عندها علق الأخ عزام الأحمد ممثل حركة فتح وقال: ”والله يا أبو مرزوق بتستاهل عزومة خروف على هذه الجملة“، وأخبر عباس بهذا الموقف أمام وزير الخارجية الروسي.

وفي 2012/11/5 التقى أبو مرزوق بوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في القاهرة بناء على طلب الأخير، ”حيث أكد لافروف أنَّ القضية الفلسطينية من المهم أن لا تُنسى على خلفية أحداث الربيع العربي، وأضاف أنَّ روسيا على ثقة بأنَّ حماس قادرة على ممارسة دور هام في هذه العملية، لافتاً إلى أنَّ القضية الفلسطينية لا يمكن حلها بدون توحيد جميع الفلسطينيين وبدونه لن تتم التسوية في الشرق الأوسط“.<sup>71</sup>

وفي أثناء كتابة هذه الأسطر (تشرين الأول/ أكتوبر 2018) زار أبو مرزوق روسيا الاتحادية؛ لبحث المستجدات الفلسطينية مع الجانب الروسي، وتعزيز علاقة حركته مع المفكرين والكتاب والإعلاميين، والانفتاح على طبقات المجتمع الروسي، وخصوصاً المسلمين منهم، فزار المسجد الكبير في موسكو، ودار الإفتاء، والتقى بالجاليات المسلمة. في المقابل لم ينكر أبو مرزوق أنَّ روسيا إبان دخولها العسكري لإسناد النظام السوري، طالبت حركة حماس بتعديل موقفها تجاه القضية السورية، ودعم الموقف السوري سواء في الطرح أم المسيرة، ولعلمهم المسبق بأنَّ الفلسطينيين خبراء في المشاكل؛ نظراً لحالهم المبعثر منذ سنوات، ولتواجد أعداد كبيرة منهم في سورية، فقد حرص الروس قبل اشتعال الثورة السورية أن تتبنى حماس موقفاً إيجابياً، حتى لا تنجر سورية إلى أحداث الربيع العربي سنة 2011.

<sup>71</sup> نقلاً عن: موقع فلسطين الآن، 2012/11/5، انظر: <http://paltimes.net>

### 3. علاقة حماس مع الاتحاد الأوروبي:

القوة الشعبية التي حظيت بها حركة حماس إبان فوزها بالانتخابات التشريعية سنة 2006 دفعت الاتحاد الأوروبي أن يُعيد حساباته في طريقة التعامل مع الأغلبية الساحقة في الشارع الفلسطيني، والتي عبّرت عنها صناديق الاقتراع بشفافية مطلقة، فقد كان الاتحاد الأوروبي قد شرع سيف المواجهة ضدّ حركة حماس منذ أحداث 2001/9/11، حيث طالب الاتحاد الأوروبي السلطة الفلسطينية بضرورة العمل على تجفيف منابع الحركات "الإرهابية" التابعة لحركة حماس، على اعتبار أنّ ما تقوم به كتائب القسام يندرج تحت مظلة "الإرهاب" الذي يُوجب المحاكمة القانونية. وبعد أن استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الاحتلال الصهيوني الضغط على الاتحاد الأوروبي، أدرج الأخير الجناح العسكري لحماس دون المكتب السياسي ضمن المنظمات "الإرهابية"، وذلك في 2001/12/27.

وبعد أن نفذت حركة حماس أكثر من عملية داخل الأراضي المحتلة سنة 1948 ضدّ الاحتلال الصهيوني، أدرج الاتحاد الأوروبي حركة حماس بشقيها السياسي والعسكري على لائحة "الإرهاب"، ودان عملياتهم العسكرية، ووصف تنفيذها بأعداء السلام، وذلك في كانون الأول/ ديسمبر 2003.<sup>72</sup>

بالرغم من الموقف غير الموضوعي للاتحاد الأوروبي تجاه حركة حماس إلا أنّ الأخيرة لم تتجاهل أي جهة اتصال تأتي عن طريقها، فحماس تسعى لأن يقف الجميع مع الحق الفلسطيني ضدّ المغتصب الصهيوني، وفي هذا الصدد يقول أبو مرزوق: "منذ أن وضعت الحركة على قائمة المنظمات الداعمة لـ"الإرهاب"، والاتصالات مع أغلب دول الاتحاد الأوروبي تُجرى من خلال أكاديميين

<sup>72</sup> انظر: سليم محمد الزعنون، سياسة الاتحاد الأوروبي تجاه الحركات الإسلامية في المنطقة العربية: دراسة حالة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) 2001-2007، سلسلة أطروحات الدكتوراه 98 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص 151.

وديبلوماسيين متقاعدين ومراكز دراسات ومستشارين قريبين من مراكز صنع القرار، المشكلة أنّ وضع أيّ اسم على القائمة أمر لا صعوبة فيه، ورفعته مشكلة كبيرة<sup>73</sup>.

لم يدم هذا التصنيف طويلاً فقد أصدرت المحكمة الأوروبية في لوكسمبورغ قراراً بإلغاء الأسباب الإجرائية التي تضع حركة حماس على قائمة "الإرهاب"، غير أنها أبقت الملف على حاله؛ حتى يُنظر في الاستئناف، وفي نتائج التدابير الملغاة، ومع بداية سنة 2004 دخلت العلاقة الأوروبية الحمساوية مرحلة الاحتواء ومحاولة "الترويض" بدلاً من المواجهة والتشديد.

وقد أكد أبو مرزوق في غير وسيلة إعلامية أنّ حماس لديها اتصالات مع معظم الدول الأوروبية، وقد تلقت حركته دعوات عدة من أجل زيارة هذه الدول، ووضّح أنّ هدف هذه الاتصالات هو الاطلاع الحقيقي على موقف الحركة، وإقناعها بالاعتراف بـ"إسرائيل" والاتفاقات الموقعة معها ووقف العنف.

بقيت العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وحماس تترنح في محطات مختلفة حتى جاءت نتائج انتخابات 2006 التي أخرجت العديد من الأطراف الدولية، خصوصاً أنّ عدداً قد اتخذ من حماس عنواناً لـ"الإرهاب"، ولم يكن الاتحاد الأوروبي في منأى عن هذه الدول، غير أنه اتخذ خطوات إيجابية نحو حماس. وتعلم "إسرائيل" عبر اتصالاتها وقنواتها، أنّ هناك دولاً أوروبية لا تمنع في الحديث عن هذه العلاقات، وأخرى تتعامل مع الحركة بمستويات سياسية رسمية، وبشكل دائم، وليس مجرد اتصالات، وتبدو حماس من جهتها حريصة على تطوير هذه العلاقات الأوروبية، وهناك جهد سياسي من الحركة في الوقت الراهن، لرفع اسم الحركة عن لائحة "الإرهاب" الأوروبية<sup>74</sup>.

<sup>73</sup> مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، 2018/11/23.

<sup>74</sup> عدنان أبو عامر، قلق إسرائيل من حضور حماس في أوروبا، صحيفة العربي الجديد، لندن، كانون الأول/ديسمبر 2016.

#### 4. الصين والهند:

يصف أبو مرزوق علاقة حركته بالهند والصين بالمتنامية، إذ تشهد علاقة حماس بالهند نشاطاً متميزاً على مستوى الأحزاب السياسية، والكتل البرلمانية، والشخصيات الاعتبارية، وكذلك المجالس الوزارية، مع العلم أنّ الحزب الحاكم هناك شديد التطرف في دعم "إسرائيل".

أما الصين، فقد دعت حركة حماس مراتٍ عدة لزيارتها، وقد لبّت الأخيرة الدعوات جميعها كما يقول أبو مرزوق، دون أن تُعلن عن توقيت الزيارة وتفصيلها، لكنّ الواضح أنّ العلاقة لم تخرج من إطارها العام، ولم يُبنَ عليها خطوات عملية.



# Dr. Musa Abu Marzuq: In Depth

## A Reading in Activism and Political Thought

### هذا الكتاب

للمذكرات قيمة علمية كبيرة في الدراسات التاريخية والسياسية، وهي عادة ما تغطي جوانب مهمة لا تغطيها المصادر والمراجع المعتادة. فهي تسلط الضوء على خلفيات المواقف السياسية والقرارات، وتوفر معلومات مهمة لفهم بيئة الحدث، وتكشف طبائع الأشخاص، وتأثير العلاقات الإنسانية في حركة التاريخ، وتُفسر الكثير من المواقف الرسمية، وما يحدث خلف الكواليس. وهو ما يُعبّر عنه هذا الكتاب بشكل تام.

يتضمن هذا الكتاب مشوار حياة د. موسى أبو مرزوق، أول رئيس للمكتب السياسي لحركة حماس، وأحد أبرز مؤسسيها وقياديينها، من حيث الرؤية والمواقف السياسية، والمسيرة النضالية الوطنية بتشعباتها الفلسطينية والعربية والإسلامية والدولية خلال الفترة 1997-2017.

وتُشكّل هذه المذكرات إضافة نوعية ليس فقط لتجربة حركة حماس، التي جمعت بين صلابة المحافظة على الثوابت ومرونة العلاقات السياسية، وانفتاحها على القوى المختلفة، وفكرها الإسلامي الوسطي المعتدل، وإنما لتاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، لما تتضمنه المذكرات من تفصيلات حول الأوضاع الداخلية الفلسطينية، والصراع مع العدو الصهيوني، والعلاقات والمواقف العربية والإسلامية والدولية.

هذا الكتاب يعرض الجزء الثاني من مذكرات د. أبو مرزوق، والتي كان جزؤها الأول بعنوان "مذكرات اللجوء والعُربة وسنوات النضال 1951-1997".

ISBN 978-9953-572-97-0



9 789953 572970



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

